

مسجلة الكاسيت الجديدة

العنوان: مسجلة الكاسيت الجديدة

تأليف: حازم ضاحي شحادة

الطبعة الأولى: 2022

تصميم الغلاف: ASS

ISBN: 9789933591014

**All rights reserved.** No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أيّ جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، من دون إذن خطّي مُسبق من الناشر.

آس للنتنر

سوريا . بانياس

0996772342

E-mail: assdar2021@gmail.com

آس للطباعة والنشر: Facebook

حازم ضاحي شحادة

مسجلة الكاسيت الجديدة

قصص



إلى  
حنا مينة  
و  
ماريو يوسا



## أجملُ امرأةٍ عبرت في حياتنا

وقعنا في غرامها جميعاً دونما استثناء!

الأطفالُ قبلَ الفتيان، الكهولُ سابقوا الشباب، والنساءُ تساقطن  
كالفرشاتِ حول نورها الخلاب، مثل الرجال.

كانت أجملَ امرأةٍ عبرت في حياتنا. شعرها الذهبيُّ أثارَ في خيالاتنا  
توقاً غامضاً لمعانقةِ الشمس، عيناها الزرقاوان قوضتا ماضينا  
وزلزلتا الواقعَ تحت أقدامنا. طوّحت شفثاها المصبوغتانِ بالدم  
القاني أركانَ نفوسنا. ولا أريدُ أن أخوضَ في تداعياتِ البركانِ الذي  
فجّرتُهُ في عروقنا طلائعُ نهديها، من تحتِ القميصِ الضيقِ، ذي  
الأزرارِ الواهية.

قبلها، أمضت قرينتنا النائبة، أعواماً لا حصرَ لها في عبادةِ ذاتها،  
لكن ما أن ركنت تلكَ المرأةَ سيارتها "الكاديلاك" قرب مفرق  
القرية، وترجّلت بساقين نحتهما إله روماني، ثمّ قالت بعدَ أن  
دارت برأسها تطالعُ البيوتاتِ المتواضعة ذات الحدايق والبساتين  
المُطرّزة بأشجارِ الزيتون والإيكيدنيا والليمون والتوت:

"اسمي جينفر، وسأقيمُ هنا"

حتى أصبحَ للقرية، ربُّ جديد.

لم نكن بحاجة الكثير من الذكاء كي ندرك أنها "فاحشة الثراء والقوة" لأنها انتقت أعلى قمة تطلّ علينا، وبلمح البصر نهضت بقصرٍ لم نر مثله سوى في الأفلام. هكذا شهدنا أنّ ما تملكه هذه الساحرة بين يديها، أكثر بكثير من مجرد المال.

سرت بيننا الإشاعات والأقاويل والأمنيات.

بعضهم قال إنها "رسولة" من الله جاءت كي تخرجنا من ظلمات واقعنا الرتيب. بعضهم قال: هي المستقبل الذي لطالما انتظرناه ونحن نحتسي بكسلٍ كؤوس العرق ونعبُ التبغ البلدي. وهناك من أكّد كما لو كان "شيخ طريقة" أنّها "الطريقة" للعيش الرغيد. كلّ واحدٍ منا، أرادها لنفسه.

وكما تحدّث علماء الاجتماع عن "الذاكرة الجمعية للشعوب"، أصبح لشعبنا البسيط "شهوة جمعية".

قناعتنا غدت راسخة أنّ هذه المرأة، لا غيرها، ولا سواها، وحدها دون شريك، السبيل الوحيد إلى السعادة الأبدية.

من شرفتها العاجية، كانت تتكرّم علينا بفتاتٍ طلّتها الآسرة، ثمّ تختفي خلف زجاج النوافذ، وستائر التخيلات.

خلال أيّام قليلة، تفجّرت في أوردتنا، ثورة التغيير.

قلنا لأنفسنا:



كيف سننال رضاها ونحن نقطنُ هذي البيوت العتيقة، نعتني  
بأشجار البساتين، ونأكلُ مما تطبخهُ نساؤنا فوق نيرانِ المواقدِ  
القديمة!

كيف سنطرحها الغرام، ونحن ندخنُ التبغ البلدي، ونرتدي ثياباً  
خشنة، نصنعها بمغازلنا الخشبية!  
كيف سنلقتُ انتباهها بأغانينا المحلية..

" هالله هالله يا جملو

يا عشيرة زماني

خصرك دخيل ال عملو

لولح يا الخيزراني "

والأهمّ من كلّ هذا وذاك، كيف سنكسبُ رضاها بأدبنا الذي لا  
تعرفُ عنه شيئاً.

كانَ القرارُ قد اتُّخِذَ بالإجماع.

اقتلعنا أشجارنا من الجذور، هدمنا بيوتنا وشيّدنا مكانها  
"عمارات"، أضرمنا النارَ في كتبنا، نسينا كلمات أغانينا، ارتدينا  
الملابس التي تتماشى مع ميولِ حبيبتنا "جينفر".

أصبحنا جاهزين كي تقعَ في غرامنا، تأكدنا من ذلك حين كُنّا نطالع  
أنفسنا في المرايا وواجهاتِ المحلاتِ التي افتتحناها على شرفِ  
جينفر، ولا نتعرّف عليها.

وفي صباح اليوم الذي اكتمل "تحولنا" فيه، أفقنا على معجزةٍ  
تفوقُ معجزةَ تشييدِ القصر الكبير، ألا وهي معجزة اختفاءِ القصرِ  
الكبير.

ولأول مرةٍ مذ وفدت إلى قريتنا، رأيناها قربنا.

بيدها حقيبة صغيرة وسيارتها "الكاديلاك" مستعدة كي تقلّها، إلى  
قرية جديدة.

## مسجلة الكاسيت الجديدة

كانَ واحداً من أهمّ الأحداثِ في تاريخِ عائلتنا، المجيد.  
أذكرُ جيّداً ذلكَ اليومَ الماطر، والغيومُ الحُبلى تتداعى في سماءِ  
"اللاذقية"، حينَ عادَ أبي من عمله، يُداري بمعطفهِ الرمادي،  
جهازاً معدنياً غامضاً.

في المطبخِ الذي تفصلهُ عنِ غرفتي الجلوسِ والنوم، "برنّدة"  
طولها لا يتجاوزُ الأربعة أمتار، كانتِ أمِّي بردائها الأزرقِ الطويل،  
تضعُ لمساتها الأخيرة على وجبة الأرز والباذنجان والدجاج،  
المعروفة على الصعيدين المحلي والعالمي بـ "المقلوبة".

.دعي كلّ شيءٍ من يديك، واتبعيني .

قالَ أبي بلهفةٍ لم نعتدها.

توقفنا أخي وأنا عن تبادلِ اللكماتِ والقفز فوقِ كراسي "طقم  
الزان" الذي كانَ الوالدُ المُفدّى يُباهي به أمامَ الضيوف.

يضرِبُ بقبضتهِ على المسندِ الخشبي، ويقولُ بكثيرٍ من الفخرِ  
والاعتزاز :

.خشب زان أصلي.. حط فوقو "تركتور" ما بيتأثر.

ورغم مضي ثلاثين عاماً، لم أفهم أبداً ما الذي سيدفعُ بأحدهم إلى وضع "تركتور" فوق كرسي كي يثبت جودته، وما الحاجةُ إلى ذلك!

كانَ "عبد الباسط عبد الصمد" يرتلُ آياتٍ من الذكر الحكيم قبيلَ انطلاقِ بثِّ القناة الأولى ونحن في انتظارِ برامجِ الأطفال ....

"في قصصِ الشعوب

طرائفٌ لا تنتهي

وعالمٌ حلّوٌ بهي

يسكنُ في القلوب"

وَكَمَنْ يُخْرِجُ دَرَّةً مِنْ رَحِمِ مَحَارَةٍ، أَخْرَجَ أَبِي مِنْ تَحْتِ مِعْطَفِهِ مُسْجَلَةَ الـ "SHARP" اليابانية، ثمَّ وضعها بهدوءٍ قاتلٍ مُتسلسلٍ فوقَ تلفازِ السيرونكس، الذي كان "مولّفه" البرتقالي قد ضاعَ في أعماقِ البلاد، وكي نبحتَ بين محطاتهِ عن قناةِ لبنانيةٍ أو تركيةٍ، كنا نستعينُ بعودِ كبريت.

من أجلِ هذه اللحظة التاريخية، استعدّ أبي جيداً، فلم ينسَ أن يحضرَ معه عوضاً عن "الكاسيت" الواحد، "كاسيتين".

أمامَ نظراتِ الدهول والإعجاب التي غزت وجوهنا، أخوتي وأمي وأنا، وقفَ أبي مزهواً، وباللاشعور، اتخذت يده مكاناً في الفسحة بين الزرين الثاني والثالث من قميصه، ولو أن قبعة زرقاء عريضة، وُضِعَت فوقَ رأسه، لكانَ واقفاً تماماً، كما يقفُ "نابليون بونابرتة" في واحدةٍ من أشهر اللوحات التي تصوّره.

ولأنّ أبي يومها، قرَّر أن يُقسِّط المفاجأة على دفعتين، انتظر إلى أن انقضت مرحلة الدهول الأولى بـ "الماكنة" الجديدة، وبينما كنّا نمدّ أيدينا بحذرٍ كي نلمسها، ضغط هو الزرّ الأيمن، ودون أن يقول "أفتح يا سمسم"، فُتِحَ الباب.

هنا، أشار متخذاً هيئة عالم الإلكترونيات الذي لا يُشقُّ له غبار، إلى الباب وقال :

. ليست ببابٍ واحد، بل، بابين .  
الله أكبر.

بالفعل، كانت مسجلة الـ "SHARP" اليابانية تتسّع لشريطي كاسيت في وقت واحد، وكما بدا جلياً من ملامح الوالد المُفدى، كانت تلك الخاصة، غاية في الأهمية.

كالصائغ المحترف، وهو يضعُ قطعة ألماسٍ في عقدٍ ذهب، وضعَ أبي "الكاسيت" في المكان المخصص، ثمّ أغلق باب المسجلة، وضغط الزر الثاني.

انبعثَ من السماعتين المتموضعتين عن طرفي الآلة، صوتٌ خربشةٍ خافتة، وما هي إلا ثوانٍ حتى راحت الموسيقى التي دارت في رأسٍ "عاصي الرحباني" قبل أن تدورَ في مسجلة الكاسيت الجديدة، تتساقطُ فوقَ شهقاتنا، كما تتساقطُ قطراتُ المطرِ في الخارج، فوق وريقاتِ الشجر.

"فايق ع البيت الكلو زنبق  
وشبابيكو بتميل ع الأحلام

ع ستار الورد وضو الأزرق

وعيون العشاقين ما بتنام"

هكذا، بين أسبوعٍ وضحاه، وجدنا في بيتنا الصغير المُستأجر، أكثر من مائة شريطٍ كاسيتٍ للسيدة "نهاد حداد" المعروفة على الصعيدين المحلي والعالمي باسم "فيروز".

كانَ قدوم مسجلة الكاسيت الجديدة خطوةً لا تقلّ في أهميتها عن خطوة "نيل آرمسترونغ" الصغيرة ذات القفزة العملاقة، للبشرية.

وريثما أصبحتُ في الصفِّ السابع، وقادراً على اتخاذ قرارٍ شراءٍ "كاسيت" بناءً على ذوقي الخاص، كنتُ قد تشبعتُ بمئات الأغنيات لفيروز ووديع الصافي ونصري شمس الدين ومحمد عبد الوهاب ورياض السنباطي، حيث لم نكن نسمع في البيتِ سواهم بفضلِ الوالدِ والوالدة المُفدّيين.

في عالمِ المراهقةِ والنساءِ الذي دخلته كما دخلَ الإسكندرُ بابل، أصبحت مسجلة الكاسيت الجديدة، أعزَّ أصدقائي .

"بأمر الحب

أفتح للهوى وسلّم

بأمر الحب

أفتح قلبك واتكلم"

رغم الظروف المادية التي كانت تتهاوى من قاع عميق، إلى قاع أعمق، حيث وجدنا أنفسنا وأنا ألجُ الصف التاسع، نقطنُ جميعاً في قلبِ غرفةٍ صغيرةٍ واحدة، إلا أنّ فتاة سمراء، لها عينان تضحكان على الدوام، وقوامٌ ممشوق كخنزلةٍ شهية، تتسمُّ بجرأةٍ صادفتها فيما بعد، بشكلٍ نادرٍ جداً، رأت أن ذلك ليس مهماً أمام، "شخصيتي" على حدِّ تعبيرها.

ولا يمكنُ أن أنسى، ذلكَ اليوم من عام 1997، حين أخرجتُ نهدها العبقري من عرينه، وعاشتها أول مرة، كيف أصبحتُ أذكي.

صدق المثلُ العربي الاشتراكي:

"قل لي من تعاشر، أقل لك من أنت "

كنتُ قد رجعتُ من المدرسة تحتَ رذاذِ المطر.

في حِمَى شجرة "شوباس" كبيرة، ليسَ على مسافةٍ بعيدةٍ من غرفتنا، توقفتُ كي أكملَ تدخينَ السجارة التي لم أكن لأجرؤُ على تدخينها أمامَ أهلي.

حين دلفتُ الغرفة، كانت جارتنا وابنتها متكئتان على الوسائد وتتخذان من الأرضِ مجلساً فوق السجادة التي تغطي الأرضية الإسمنتية.

ألقيتُ السلام، وجلستُ قربَ الباب، مستغرباً زيارتهما في هذا الجو الماطر، فالجميعُ يعلم أنه لا مكان آخر يمكن أن ألجأ إليه،

والجلوس تحت شجرة "الإيكيدنيا" أمام الغرفة لم يكن بالمستطاع مع تزايد وتيرة هطول المطر.

في تلك الأيام، لم أكن شخصاً اجتماعياً، تماماً كالحال في هذه الأيام. لكنني مُرغماً، كنتُ مضطراً لمجارية الحديث الدائر قربي بين السيدتين الأربعينيتين، أما الفتاة، فيا ويح قلبي كيف كانت تنظر إلي.

قلتُ لنفسي :

"لا يمكنُ أن يكونَ قصدَ عينيها كما فهمتهُ فهي تصغرنِي بعامين، أي أنّها في الصفِّ السابع فقط "

لذا رحْتُ أصرفُ تفكيري عمّا يعتلجُ في صدري، لكن، حينَ دخلتُ المطبخَ كي أصنعَ لنفسي ولهنّ القهوة، تبجلاً مئّي للوالدة لئلا تتعبَ نفسها، وبينما كنتُ أملأُ الركوة، سمعتُ صوتاً خلفي.

حينَ التفّتُ، رأيتُ الفتاةَ أمامي.

كانت المرة الأولى التي أرى فيها فتاة لعينيها ضحكة مسموعة.

"ممكّن كاسة مي!"

قالت بصوتها الذي اتضحَ أنه أعذبُ صوتٍ سمعته.

مرتبكاً، ملأتُ الكأسَ من ماءٍ قلبي.

شربت، ولم تزح عينيها عن ناظري، ثمّ حينَ ارتوت، قالت :

"يسلمو"



استدارت بغنجٍ عشرين امرأة، وقبل أن تجتازَ العتبة، التفتت  
وقالت:

"كل ما شفتك مارق بالشارع كنت عم حبك "

ورغم ضبابية المشهد بعد ثلاثين عاماً، ورغم ارتباجي العظيم،  
ورغم الغيم والأمطار في الخارج، شعرتُ كما لو أنني، أخلقُ من  
جديد .

مع هذا الحُبِّ الذي جاءَ كأجملٍ ما يكونُ المجيء، ازدادت  
صداقتنا، مسجلة الكاسيت وأنا .

" وف ليلة مش ناسيها

سهران الفرح فيها

جاني الزمان ومعاه

هدية فرحت بيها"

كلّ ليلة من ليالي ألف ليلة وليلة، وأهلي نيامٌ داخل الغرفة، بينما  
أدرسُ تحضيراً لامتحان الشهادة الإعدادية على ضوء المصباحِ  
المُعلّق بغصنِ "الإيكدينا" في الخارج، تسامرني مسجلة الكاسيت  
الجديدة بغنوة لعبد الحلیم، أو تحفة لاسمهان، أو قطعة خزفية  
لنجانة، أو وصلة سحرية لعبد الوهاب..

"كلّ ده كان ليه

لمّا شفت عنيه

حنّ قلبي إليه

وانشغلت عليه

كل ده كان ليه"

عقبَ الفصل الثاني من الصفِّ العاشر، كانَ بناءُ منزلنا الجديد قد اكتملَ فوقَ قطعةِ أرضٍ ورثتها أُمِّي من أبيها.

وكم كنتُ متلهفًا لبناءِ خيمةِ نخيلٍ فوقَ سطحِ بيتنا.

حين فعلتُ ذلكَ مع مطلعِ الصيفِ من ذلكَ العامِ، كانتَ شريكتي في الخيمةِ، مسجلةُ الكاسيتِ الجديدةِ، التي بدأَ الزمنُ يقسو عليها، قليلاً .

تتوقفُ أحياناً دونَ سابقِ إنذارٍ، أو تبدأُ بمضغِ الشريطِ.

حينها كانَ لا بدَّ من إجراءِ عمليةٍ جراحيةٍ لانتزاعِ الشريطِ دونَ أن ينزفَ الموسيقى، ومن ثمَّ، باستخدامِ قلمِ حبرٍ أو رصاصٍ، إعادته من خلالِ الدائرتينِ الصغيرتينِ إلى مكانه.

وأنا على أعتابِ امتحاناتِ الشهادةِ الثانويةِ، كانتَ مسجلةُ الكاسيتِ الجديدةِ، ما زالت رفيقتي في خيمةِ النخيلِ فوقَ ذلكَ السطحِ الذي لم يعد قائماً سوى فوقَ أرضِ الذاكرةِ ..

فيما بعد، وبعد سنواتٍ تشبهُ العيشُ في "الجنة" حرفياً، كان لا بدَّ من الخروجِ احتراماً لعاداتِ وتقاليدِ جدنا الأوَّلِ.

انتهتِ علاقتي بالفتاةِ الحلوةِ، كما هو مُقدَّرٌ لكلِّ شيءٍ أن ينتهي، بشكلٍ أو بآخر.

اتجهت صوبَ دمشق كي أكملَ تعليمي، وكان لا بد من الإقامة  
هناك في السكن الجامعي ..

عندما رجعت في المساء، بعد أكثر من شهرين، كان في البيتِ جهاز  
"سي دي "

جهازٌ تضعُ فيه قرصاً دائرياً مضغوطاً يمكن أن يتسعَ لخمسين أو  
ستين أغنية، وربما أكثر.. ثم تنساه، وسيبقى في حالةِ تشغيلٍ  
مستمر.

كانت مُسجلة الكاسيت الجديدة مُهملة في غرفتي العتيقة، بينَ  
سريرِ مجد وسريري، لكن لم يعد أحدٌ يستخدمها ..

بعد عام أو أكثر، عدتُ إلى البيت وكان في الغرفة "كومبيوتر "

جهازٌ، بالإضافةِ إلى خصائصه الإعجازية الأخرى، فهو يتسعُ  
لمئاتِ وآلاف الأغنيات دون الحاجة إلى قلب الشريط أو تصليحه  
حين يقطع، وكانت مسجلة الكاسيت الجديدة قد أصبحت بلا  
باب.

أخبرني "جبران" أنه حين كان يضع الطاولة القبيحة التي  
يستخدمها المهندسون في دراستهم، ارتطمت بالمسجلة  
فسقطت أرضاً وغدت بلا باب، بالإضافة إلى كونها لم تعد تعمل  
منذ زمن، وقد كان على وشك أن يرميها، لكنه تذكرَ كم تعرّ علي،  
فاحتفظَ بها في الغرفة التي استولى عليها وجعلها غرفته.

لم يعد للكاسيت وجود، تقريباً، ومن باب السخرية، جهاز "السي  
دي" أصبح تراثاً وفلكلوراً هذه الأيام.

يمكنك عبر "اليوتيوب" أن تستمع لمئات الآلاف من الأغاني  
بجودة عالية، وإلى ما هنالك من هذا الهراء..

من قال إنني أحب أن أستمع لصوت أمّ كلثوم بتقنية الديجتال؟  
حتى أنني توقفت عن الاستماع إلى الأغاني مباشرة عبر التلفاز أو  
الهاتف الذكي .

أكتفي بالاستماع إليها بالوهم .

أوهم نفسي أن الصوت في عقلي ينبع من مسجلة الـ "SHARP"  
اليابانية التي أحضرها أبي ذات يوم ماطر.

مسجلة تتسع لشريطي كاسيت في وقت واحد، قبل أن تبدأ  
الموسيقى، ينبعث منها، صوت خربشة خافتة.

## تبادل أدوار

### الأحد 6 حزيران

الخامسة فجراً. درجة الرطوبة 60%

تقولُ رفيف ويدها التي "حَطَّت على كتفي" بعد أن توقفت عن هزّه:

.كنت تصرخُ كمن تلقى طعنة.

اقتربت أكثر ولثمت جبيني المُتعرق، ثم أردفت بسؤال:

.نفس المنام؟

أومأت أن نعم.

حاولتُ أن أسحبَ ذراعيَّ المخدرتين من تحتِ صدري، دونَ جدوى.

بعدَ دقيقةٍ أو أكثر، تمكّنت من الاستلقاء على ظهري.

مُبحلقاً في السقف، استعدتُ تفاصيلَ الجريمة:

كانت رفيف تمتطيني بوضعية الفرس.

أعشقُ تفاصيلَ هذه المرأة.

حاجباها المرسومان كسيفين عربيين يحرسان عيني  
متوحشتين.

الكحلُ يُضفي عليهما مسحةً كاربيةً مُدهشة.

حركةٌ نهديها مع كلِّ صعودٍ وهبوطٍ تشعلُ في عروقي ألفَ بركان.  
البطنُ الذي ما زالَ بعدَ خمسةٍ وثلاثينَ عاماً كسهبٍ خلت منه  
الهضابُ والتلالُ.

الجنّةُ التي تحملها بين ساقبيها الأمازونيتين، أصابعُ قدميها التي  
تظلي أظافرهما كلّما زارتنِي باللونِ الأحمرِ الفاقع. هي تعرفُ ما  
الذي تفعلهُ بي.

تحبُّ رفيفَ وضعيّةِ الفرس، وأنا أحبها أيضاً، رغمَ أنّ برجي هو  
الأسد.

تؤكد ناشيونال جيوغرافيك أن الأسدَ يمضي بين ال 15 وال 18  
ساعةً من يومه نائماً.

الكسلُ بالنسبةِ لي ليسَ خياراً أو عادةً، إنّه طبيعة.

من خلالِ هذهِ الوضعيّةِ، كلّ ما عليّ فعلهُ هو الاستلقاءُ وتدخينُ  
سيجارةٍ مُتأملًا بلا ارتواء ذلك الجسدِ الخرافي وهو ينثرُ العطرَ في  
فضاءٍ أرجائي.

فجأةً، يظهرُ زوجها الجميل من العدم، الرجلُ ذو الكرشِ العظيم  
والصلعةِ الحمقاء.

كم أكره هذا الرجل! دائماً يحضر في الأوقات غير المناسبة. بيده  
خنجر لمع نصله للحظة قبل أن يغرسه في عنق رفيف.  
أحبّ النوافير وهي تقذف الماء، حين تقذف الماء لا أحبها أبداً.  
اندفعت دماء صاحبي من عنقها كنافورة لا تراقصها الموسيقى.  
قبل أن أتمكن من فعل شيء، استلّ زوجها خنجره من الغمد  
الجديد وزرعه في خاصرتي.  
الدماء تملأ الأرجاء، وصوت غامض يحنّني على النهوض..

.هل تأخرت عن المدرسة؟!!

بعينين خائفتين تنظر رفيف وتقول:

.كنت تصرخ كمن تلقى طعنة.

ذهب الخدر وتحررت العروق.

مددت يدي إلى الطاولة المجاورة للسرير، سحبت من علبة التبغ  
سيجارة ثم اعتدلت في جلستي وأشعلتها.

رفيف أخبرتني، لألف مرة ربما، أن زوجها مات منذ سبع سنوات  
في سكتة غامضة.

وبناءً على طلبي، شاهدت في هاتفها المحمول صوراً تجمعها وإياه  
في أكثر من مناسبة ومكان.

لم يكن بهذا القبح الذي صورته لكن، لم أستطع يوماً أن أراه سوى  
هكذا. حتى أنه بلا كرش وشعره أطول وأغزر من شعري.

فكرة أنه كانَ يضاجعها قبلي مزعجة وغير مريحة، وهي التي تدفعني إلى تصويره وتخيله بطريقةٍ مختلفة.

تعملُ رفيف محررة في صحيفة إلكترونية، أما أنا فأعملُ محرراً في صحيفة إلكترونية أخرى.

قابلتها أول مرة في تغطيةٍ لفعاليةٍ مجتمعيةٍ تافهة.

تحاولتُ عليها إلى أن حصلتُ على رقمها، بعدَ مناوراتٍ أكرهُ القيامَ بها لكنها ضرورية، أقنعتها بشربِ فنجانِ قهوةٍ بصحبتِي. للأمانة لم يكن من السهلِ إقناعها بعدَ ذلكَ أن تنام معي.

قد يظنُّ البعضُ العكسَ لكن، بخبرتي المتواضعة، أؤكدُ لكم أن الأراملَ والمطلقات من أصعبِ النساءِ في قبولِ العلاقات. وجودُ أبناءٍ يزيدُ من تعقيدِ هذه المعضلة.

لم أكن أكذبُ حين قلت لها:

.بحبك.

وصدقاً لم أكن أكذب حين قلت هذه الكلمة لـ "روان" و"عبير" و"هلا" و"هبة" و"ديمة" و"نورا" و"رشا" و"رغدة" و"نورا الثانية" و"عبير الثانية" و"نورا الثالثة" و"داليا" و"شقيقتها" و"كارلا" و"سلام" و"بشرى" و"كاميليا" و"ابنة خالي" و"ابنة عمي" و"صديقتها" دارين.

.هل أنت متأكدة أن زوجك مات!



تمطمطت رفيف بغنج، ثم انسلت من السرير عاريةً واتجهت إلى الحمّام .

بعد أن اغتسلت، عادت إلى الغرفة ببقايا ابتسامهٍ ماكرة، ثم راحت ترتدي ملابسها.

. يجب أن أذهب قبل أن يستيقظ باسل وعامر.

صحيح أن "الناني" تنام في البيت، لكن لا أريدهما للحظة أن يشعرنا بغيابٍ أمهما في مثل هذا الوقت.

سحبتُ من السجارية نفساً عميقاً، ثم سحقتُ العقب في منفضةٍ ممتلئة بعد أن عثرتُ على مكانٍ بين ركام الأعباب وقلت:

. متى سنلتقي؟

من على الكرسي تناولت حقيبتها، ثم علقتها بكتفها وقالت:

. عندما يسافرُ الأفندي من جديد.

وقبل أن توصلد الباب خلفها أضافت:

. لم أقل أبداً إنه مات، أنت من تصرّ على ذلك.

هون عليك ولا تجلد ذاتك كلما التقينا، في حياتي كلها لم أعاشر رجلاً غيره سواك، أما هو، فلديه مملكة من الحرير .

لا أريدُ أن أدخل مجدداً في التبرير لكن صدقاً..

"معهُ لست سوى جارية. معك أشعر أنني أميرة!"!

اختفت رفيف في غياهب الضباب ..

نهضتُ بثقل، صداعُ الخمرِ يضربُ أظنابه، وتفاصيلِ الحلمِ  
تطيرُ رويداً رويداً..

وقفْتُ تحتَ الدوشِ وما زالتِ كلماتها تدورُ في رأسي..

"معهُ لستِ سوى جارية، معكَ أشعرُ أنني أميرة"

تري! هل سيكونُ هذا رأيها، لو كنتُ أنا من تزوجها وليس هو!

## لقمة مغمسةٌ بالدماء

صبيحة يومٍ يُوحى بهطولِ المزيدِ من الأمطارِ إثرَ توقّفٍ لا يُعوّلُ عليه، استيقظَ سيادةَ المحافظِ في مكانٍ مجهول.

كانَ السقفُ الذي يُبخلقُ فيه واطئاً، أشبعتِ الرطوبةُ طلائه الباهتِ هتكاً وتعنيفاً. وعلى خلافِ أزكى العطورِ الفاخرة التي اعتادَ استنشاقها لسنواتٍ طوال، كلَّ صباح، وصلت إلى دماغه المرتبك، معلوماتٌ أكيدة، عن رائحةٍ حطبٍ يحترق.

ما زادَ الطينَ بلّةً هو الصوت، فصوتُ الطقطقة التي كانَ الحطبُ يصدرها خلال اشتعاله، قريبة جداً.

عندما اتخذَ القرارَ وعطفَ رأسه صوبَ اليمينِ بحثاً عن مزيدٍ من التفاصيل، أدركَ أنه لم يكن فوقَ سريره السيّادي الشاسع.

على الأرض، وإلى جوارِ الفراشِ المُستلقي فوقه، ثمة مجموعةٌ أخرى من الفرش، تبدو من تحتِ الأغطيةِ الصوفية التي تغمرها، ثلاث رؤوسٍ ليافعين ما زالوا يغطّون في نومٍ عميق.

انتصبت في الزاوية الجنوبية للغرفةِ ذاتِ الجدرانِ التي يرشحُ منها الماء، مدفأة حطبٍ معدنية، على سطحها الداكن ثلاث فتحات دائرية ذات أغطية، ومن خلالِ خرومٍ صغيرةٍ جداً قربِ بوابةِ المدفأة، كانت ألسنة اللهب تبدو في حفلةٍ راقصة، لا تناسبُ أبداً، الجو العام.

ازدرد ريقه بصعوبة وهو يطالع أثاث الغرفة.

طاولة كبيرة استقرت فوقها بعض الملاحف والأغطية، استنتج على الفور، بما لا يحتاج إلى عبقرية رجل الدولة، أنها الطاولة المخصصة كي توضع الفرش فوقها بعد الاستيقاظ.

عن يمينها، كنبه متوسطة الحجم، أمامها منضدة مستطيلة وكروسي بلاستيكي، ثم يأتي الباب المتسربل بالصدأ، وليس بعيداً عنه، ثمّة تلفاز قديم، جداً.

حين نهض المحافظ وسط دهشته العامرة، أدرك أنه أصبح أقصر.

قبل مساءً واحد، كان طوله لا يقل عن 180 سم، أما الآن، وفي غفلة عن كل شيء، لن يتجاوز طوله المئة والسبعين.

وبينما كان متخبطاً في استيعاب ما يراه، فُتح الباب ودخلت منه امرأة نحيلة في مطلع الخمسينات يدل وجهها على جمالٍ غابر.

كانت تضع فوق رأسها شالاً أخضر عقدته جيداً ولم تقل:  
. صباح الخير.

قالت:

. (بكير يا طير)، أعتقد أنّ الوقت المتبقي كي تلحق دور الخبز قبل إغلاق الفرن ليس بالكثير. ثمّ راحت تنادي الأولاد وهي تنزع عنهم الأغطية وتربت على أكتافهم:

. تأخرتم عن المدرسة، يلا يلا..

وحينها فقط، قالت:

. صباح الخير.

كانَ سيادة المحافظ ما زالَ واقفاً في مكانه، غير مُصدِّقٍ أنَّ هذهِ المرأةَ هي سيِّدة المحافظة الأولى وأنَّ أبناءَهُ الذينَ يقطنون في أفخم مباني المدينة ويذهبون إلى أهمِّ مدارسها الخاصة ينامون جميعاً في غرفةٍ حقيرة، وها هم يستيقظون ويذهبون تبعاً إلى الحمام، يعودون إلى الغرفة، ويرتدون زيَّ المدرسةِ دونَ شعورٍ بالاستغراب أو الدهشة.

كُلَّ التفاصيلِ الصغيرةِ توكِّدُ أنَّ هذا المكان، هو الوطن.

هدرَ الرعدُ أكثرَ من مرةٍ ثمَّ عادَ المطرُ إلى الهطول.

بدونِ مظلات، غادرَ الأولادُ إلى المدرسةِ مصحوبين بدعواتِ الأمِّ التي حينَ التفتت إلى زوجها المتسمِّرِ مكانه مذ استيقظ، شهقت وضربت بكفِّها على صدرها قائلة:

. بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا تبدو كالصنم يا رجل! عليك اللحاق بالخبز قبل أن يُغلقَ الفرن.

ثمَّ راحت تُرتَّبُ الأغطية والفرشَ فوقَ الطاولة المُخصَّصة.

مثل شخصٍ منوَّمٍ مغناطيسياً، توجَّه رئيس المحافظة المُفدِّي إلى الباب، وما أن أدارَ أكرتهُ حتَّى رأى ممراً ضيقاً لا يتجاوزُ عرضهُ المترَ وطوله لا يتعدَّى الثلاثة أمتار.

عن يمين الممر مباشرة، بابٌ آخر أحكم إغلاقه، استنتج على الفور، أنه الباب المؤدي إلى الشارع.

يُفضي الممر في نهايته إلى مطبخٍ صغير جداً، يليه حمامٌ عربي أصغر، حين وصل إليه قالَ باشمئزاز:

. في هذا المكان سأقضي حاجتي!؟

ثمّ تقياً.

إثر التجربة الوجودية التي عاشها في الحمام، عادَ يجرّجُ نفسه إلى الغرفة.

كانت سيدة المحافظة الأولى قد أنهت ترتيبها، وبدأت بكنس الأرض المفروشة بسجادة قديمة.

وبينما كانَ يزنغُ بنطاله عن المشجبِ سمعها تغيّ:

"والجدائل ع القمر يا سليمة

والقمر ع العين"

ارتدى البنطال فوق (كلسون) أبيض طويل، وبعد أن شدّ الحزام، ارتدى كنزة صوفٍ مهترئة ثمّ أتبعها بمعطف عسكري باهت أحكم إغلاقه.

بتلقائيةٍ وضعَ يديه في جيبِ المعطف، فتلمس شيئاً ناعماً.

كانت محفظة التبغ الجلدية مزدحمة، وفي الجيبِ الصغيرِ ولاءة زرقاء.

تداخلَ كلَّ شيءٍ في رأس السيد المحافظ، وبات من المستحيل  
بالنسبة إليه أن يُحدّد إذا ما كان مُدخّناً أم لا!

وهل جرّب في حياته التبغ العربي؟

أدهشته المهارة التي أبدأها وهو يلفّ سيجارة في زمنٍ قياسي ثمّ  
قال وهو يشعلها:

. ماذا أعمل؟

توقفت زوجه عن الكنسي ونظرت إليه ملياً ثم قالت:

. ماذا تعني بماذا تعمل؟ أحضر الخبز بسرعة يا رجل.

كانّ طعم التبغ على الريق مرّاً، ومن الخارج لم يعد مسموعاً  
صوت المطر.

نفث الدخان ببطءٍ ثم قال:

. أقصدُ في الحياة بشكل عام، ماذا أعمل؟ ما هي وظيفتي؟

نفد صبر المرأة من مزاح زوجها، وبعد أن حدجته بعصبية قالت:

. مُحافظ.. ماذا تعمل يعني.

حينها أشرق وجهه ولمح بارقة أملٍ في أن يكون كلُّ ما خيره هذا  
الصباح جزءاً من برنامج الكاميرا الخفية، أو درساً من دروس  
التنميّة الروحيّة التي اقترحتها "القيادة الحكيمة" على مواطني  
الدرجة الأولى كي يجزّبوا حياة مواطني "الدرجة العاشرة" في نوعٍ  
من الترفيه والتسلية.

وقبلَ أن يقفزَ من الفرحة قالت:

. وياذن الله ستصبح رئيساً للجمهورية، إن كنت شاطراً وأسرعت  
إلى الفرن.

أوشك قلبه على التوقف...

ازدردَ ريقه إثر سماعِ الحقيقة، وبعدَ أن تأكّدَ من المبلغِ الذي  
بحوزته، خرجَ إلى أحضانِ الوطنِ المعطاء السعيد.

كانت في انتظاره أمام باب الغرفة، بركة ماءٍ موحلة، في قلبِ  
عروبته النابض، بعضُ الأحجار التي وضعها سكانُ الحارة، كي  
يسهلَ اجتيازها.

اطمأن سيادة المحافظ على رشاقته عندما قفزَ من حجرٍ إلى آخر،  
وما أن حظَّ على الأرض كغزال، شعرَ بلزوجةِ الطين، في الشارع  
الترابي.

تموضعت البيوت بطريقةٍ عشوائيةٍ على جانبي الشارع الموحل،  
ومن أمام دكان صغير جداً، قال أبو محسن صاحبُ عربةِ الفول  
وهو يبتسمُ فتبدو من بين شفثيه الغليظتين، أطلالُ أسنان:

. شمسك عالية هذا الصباح يا بو حارث، لن تلحق الخبز.

هكذا إذًا، حتى أسماء الأبناء تغيرت وأنا اليوم، أبو حارث.

جازى الابتسام بابتسامٍ بلهاء، وأجابَ كمن يعرفُ صاحبَ عربةِ  
الفولِ معرفةً وثقى، لكن لا يريدُ أن يتورطَ في حديثٍ معه:

. لم يكن باليدِ حيلة يا عمي، النوم سلطان.



ثمَّ جدَّ السيرَ صوبَ المكانِ الذي رأى الناسَ قادمينَ منه، وهم يحملون الخبز، وكانَ في نهايةِ الشارعِ المُعبدِ بآمالهم وأيامهم، وحياتهم.

على الفيسبوك، قبلَ أن يتحوَّل إلى مواطنٍ من الدرجةِ العاشرة، كانَ سيادةِ المُحافظِ بو حارث يرى الطواييزَ المُرعبةَ للبشرِ وهم ينتظرونَ بذلَّ حصولهم على اللقمةِ لكن، في أعتى كوابيسه، وأشدّها ظلمة، لم يرَ نفسه منخرطاً فيها.

الأيادي ترتفع، الضوضاء تعلو، والتزاحمُ لا يرحم.  
بروفة عملية ليومِ الحشر.

انتابته مشاعرٌ مؤلمة، وعلى الرغمِ من مهارته في تملُّق المسؤولين الأعلى شأنًا، إلا أنها كانت المرة الأولى التي يشعُرُ فيها بالوضاعة. كانَ تملُّق المسؤولين الكبارِ مُنسجماً مع طبيعتهِ كإنسانٍ مُستعدِّ للقيامِ بأيِّ شيءٍ من أجلِ المنصب.

أمّا أمام الفرن، هذا الذلُّ كلُّه من أجلِ ماذا؟ من أجلِ رغيفِ خبز! صوتٌ جهوري انتشلهُ من أفكارهِ الحزينةِ فالتفتَ خلفه.

كانَ رجلٌ ضخماً يزيّنُ خصرهُ بسلاحِ ناري يدفعُ المنتظرينَ كثورٍ هائجٍ ويقول:

.الخبزات بسرعة.

دونَ تفكيرٍ قالَ سيادةِ المُحافظ:

.عليك أن تنتظرَ دورك يا أخ.

دوى صوتُ الصفعةِ التي أصابت خدّه في أرجاءِ الحارة، ثمّ ابتلّ وجههُ بالبصقةِ التي قذفها الرجلُ نحوه بحقد.

كانَ الشعبُ يراقبُ بصمتٍ وخنوعٍ حفلةَ إهانةِ المُحافظ، دونَ أن يدري أحدٌ أنه سيادةُ المحافظِ بجلالةِ قدره لأنَّ الشكلَ تغيّر، الملابسُ تبدّلت، ومن المستحيلِ أن يتخيّل إنسانٌ عاقلٌ أو غير عاقلٍ في هذه البلاد، أن مسؤولاً كبيراً سيأتي إلى طابور الخبز، وينتظر دوره.

من كانَ يتعرض للإهانةِ هو مواطنٌ بسيطٌ من الدرجةِ العاشرة، فالترَمَ الجميعُ الصمت.

برفسةٍ قويةٍ من حافرِ المواطنِ المسلّح، وجدّ أبو حارث نفسه ملقئاً على الأرضِ الموحلة بين الأقدام.

وبينما كانَ يتلقى على خاصرتيه بعض الركلات الإضافية، سمع أحدهم يقول:

. لا توسخ حذاءك به أخي بو سامر، من لا يعرفك يجهلك.

وقالَ آخر:

. المسامح كريم خيي بو سامر.

ثم تشجعت بعضُ النسوة الواقفات في طابو خاص بهنّ وقلن:

. بسيطة أخي أبو سامر...

. طول بالك أخي أبو سامر

. أنت أكبر قدر أخي أبو سامر

توقف الأخ أبو سامر عن ركلِ المحافظ الذي تحوّل هذا الصباح  
إلى مواطنٍ من الدرجةِ العاشرةِ وسطَ ترحيبِ الشعبِ بشهامةِ  
المُعْتدي.

. يا لهُ من صباح..

قالَ سيادةِ المحافظِ لنفسه وهو يتلوى من الأليمِ فوقَ وحلِ  
الوطن.

بتثاقلٍ نهضَ دونَ أن يجروُ أحدٌ على مساعدته.

عاملُ الفرنِ الذي شاهدَ حفلةَ الإذلالِ، وبعدَ أن غادرَ المواطنِ  
المُسَلِّحَ، ناداه وأعطاه الخبرَ دونَ أن ينظرَ في عينيه.

كانَ وجههُ مُلَطَّخاً بالطينِ والدماءِ، أمّا ملابسهُ فغدت لوحةً  
سورياليةً مُوقَّعةً باسمِ الفنانِ العالمي، قاهرِ سلفادور دالي، (بو  
سامر).

مُنكَّسَ الرأسِ عادَ أدراجه، وقبلَ أن ينعطفَ عندَ مدخلِ الحارةِ،  
سيرفيسٌ مسرعٌ غاصَ دولابهُ الأمامي في بركةِ مياهٍ فحوّلها من  
صبيغةِ السكون، إلى الحركة، وتولّت مهمةَ تغسيله.

لم يسلم الخبزُ من لمسةِ الماءِ الساحرة، تلكَ اللمسةِ التي  
حملت في طريقها بعضَ الدماءِ المتجمعةِ فوقَ وجهِ المحافظ.

ابتسمَ بسخريةِ وقالَ لنفسه:

"يا لها من لقمةِ مُغمَّسةِ بالدماءِ..".



## فستانُ رشا الأحمر..

وقرازُ لا رجعة عنه

بعدَ الكثير من التفكيرِ والحيرةِ والاضطرابِ، كانَ لا بدَّ من اتخاذِ قرارٍ نهائيٍّ، لا رجعةَ عنه.

فتحتُ تطبيقَ "الواتس آب" وكتبت:

"مسا الخير رشا".

جاء الردُّ سريعاً:

"مسا الخيرات"

"هل أستطيعُ رؤيتك اليوم؟ عندي كلامٌ مهم"

"عمركَ أطول من عمري، كنتُ على وشكٍ أن أرسلَ إليك كي نلتقي، أياً تكن أهمية ما ستقوله، ما سأقوله أهم".

شعرتُ بالارتباكِ والأسف.

على الأرجح ستعيدُ ذات الأسطوانة حولَ أهميةِ التقدّم لخطبتها، وجعل العلاقة التي تجمعننا رسمية، وما إلى هنالك من كلامٍ تقشعرُ له الأبدان.

ثمّة مقهى لطيف في قلبِ المدينة، أسعاره مناسبة، نتواعدُ فيه منذ سنتين.

اتفقنا على اللقاء عند الساعة مساءً هناك.

رشا، ومنذ عامٍ تقريباً، ما على لسانها سوى موضوع الخطبة والزواج .

لا أنكرُ أنها كانت فتاة رائعة الجمال، كريمة في كلِّ شيء، وتستحقُّ أن أتزوجها، لكن لنكن منطقيين، مهما بلغت درجة جمالها، من المُبكرِ جداً أن تستدرجني إلى الفخ المسمى "زواج".

مسؤولية، روتين، مسؤولية، التزامات، مسؤولية، واجبات، مسؤولية، قيود، مسؤولية، برود، مسؤولية، مواعيد محددة وأختام رسمية من أجل ممارسة الجنس، مسؤولية، مسؤولية... التزامات.

لا يا صديقتي، ليس أنا.

وكما يقول المثل الإنكليزي

"سوري بيبي"

سأكونُ في قَمّةِ الصدق، كما كنتُ معها دائماً لكن، هذه المرة سأقولُ إن العلاقة بيننا انتهت.

كي لا أجرَحَ مشاعرها، انتقيتُ قميصاً قديماً ارتديته مع بنطالٍ أسود وحذاءٍ بُنيّ تعمّدتُ ألا ألمّعه.

لحيثي لم أشذبها، واكتفيتُ ببعضِ الضربات من أصابعي بين  
خصلات شعري.

بذلتُ كلَّ جهدي كي يكونَ مظهري مُنسجماً مع الخبرِ غير السعيد  
الذي سأعلمها به.

رَحَّبَ بي "سمير" الشابُ النحيل الذي يعملُ في المقهى كي يساعِدَ  
أباه في مصاريفِ الجامعة، وأشارَ إلى طاولةٍ منعزلةٍ غربَ الصالة.

وضعتُ أمامي هاتفي المحمول وعلبة التبغ، ثم رحتُ أتأملُ عبرَ  
زجاجِ النافذةِ صقّين من الأشجار، يحرسان شارعاً فرعياً، أجهلُ  
تماماً يفضي في نهايته إلى أين.

طلبتُ فنجاناً من القهوة لم أنتظر وصولها كي أشعلَ سيجارة،  
وبينما كنتُ أعبُ منها لمحتها تدلفُ من بوابةِ المقهى الزجاجية،  
وشهقت.

طوالَ علاقتنا التي استمرت لعامين، لم أرَ رشا على هذا القدرِ من  
الجمال.

كانت ترتدي فستاناً أحمر، التصقَ بجسدها فتحوّلتُ إلى قنبلةٍ  
موقوتة، حذاء بكعب عالٍ، وعلى الأرجح أنها اختارت عامدة  
متعمدة لون الأحمر الفاقع كي تصبغ به شفيتها والطريقة  
الفرعونية في تكحيل عينيها النجلاوين .

انسدلَ شعرها فوقَ كتفيها كقصيدة لنزار قباني يقولُ فيها:

"والشعرُ العجري المجنون يسافر في كلِّ الدنيا".

وقفْتُ احتراماً وتبجيلاً، وبعدَ أن تصافحنا لم تجلس إلى جوارِي  
كالمُعتاد.

تجاذبنا بعضَ الكلام غير المفيد بعدَ أن طلبت لها كأساً من عصير  
البرتقال الذي تحبُّه ولن أكذب، كانَ تركيزي قد فقدَ الكثير من  
تركيزه أمامَ طلّتها الساحرة.

ربّما عليّ أن أوَجِّلَ إبلاغها بقرارِ فسخِ علاقتنا، عدّة من أيّامٍ أُخر  
لن تؤثر.

سأتحمّلُ على مضضٍ أسطوانة الخطبةِ والزواجِ كي أرتوي أكثر من  
جسدها المُحتشدِ بالأنوثة، ثمّ أخبرها في موعدٍ آخرٍ إياه .

اللعينة، قبلَ أن تفتحَ فمها بحرف، استطاعت تغييرَ مسار  
الخطّة.

قالت فجأة:

"كما أخبرتك على الواتس، عندي ما أقوله.."

ابتسمتُ ابتسامة العارفِ بماهيةِ الحديث، وبعدَ أن أشعلتُ  
سيجارة ثانية أشرتُ بيدي التي تحملها:  
تفضلي.

. عقدُ قراني بعد أسبوعين.

في منطقةٍ ما بين قلبي ومعدتي وأمعائي، راحَ سيفٌ ناصعٌ قدّ من  
أسنانها يتجولُ صعوداً تارة، ونزولاً تارة أخرى.

ذاتَ اليمينِ مرة، وذات الشمالِ أخرى.



رشفة رشا من عصيرها بروية وقالت:

"أنت لست مُستعداً للارتباط بشكلٍ رسمي، ولن تكونَ في القريبِ العاجل، هذا حقك. لن أثقلَ عليكَ بعدَ اليوم، أتمنى لكَ حياةً سعيدةً"

وقبلَ أن أفتحَ فمي للتفوهِ بعباراتٍ مبتذلة، أضافت:

. ربما لم يعد من الضروري أن تخبرني بموضوعك الهام، أليس كذلك!

ثم انسحبت من أمامي بهدوءٍ عاصفةٍ تقترب.

معها حق، لم يعد من الضروري أبداً أن أقولَ ما كنتُ أتدربُ على قوله بعدَ الكثيرِ من التفكيرِ والحيرةِ والاضطراب.

كانَ لا بدَّ من اتخاذِ قرارٍ نهائيٍّ لا رجعةَ عنه، وقد فَعَلتُ هي ذلك .

ما لم أفهمه حتى الآن ..

لماذا أكادُ أموت.



## شهرٌ إلا خمسة أيام..

### في سوريا

منتصف حزيران 2021

بعد سبع سنواتٍ من الغياب، رجعتُ إلى سوريا.

الواحدةُ بعد منتصفِ الليلِ بتوقيتِ دمشق، لأسماءٍ بعضِ المدنِ مذاقِ الخمر، لاذعٌ ولذيذٌ.

ما من أثرٍ للكهرباءِ سوى على الجانبِ اللبناني من معبرِ العريضةِ الحدودي، كلُّ الأضواءِ الباهتةِ القليلة على الجانبِ السوري، مصدرها المولّدات والبطاريات.

أنجزتُ الأوراقُ والأختامُ ثمّ مَضت بنا (الفان) تمخُرُ عبابَ العتمِ المُطبق.

عند كلِّ حاجزٍ عسكري ثمة سلامٌ وكلامٌ و... اتفاق.

قالَ السائقُ وهو يعبُّ من سيجارةِ الحمراءِ القصيرة، مؤدياً دورَ المرشدِ السياحي كما يليقُ بالأوسكار أيامَ مجده:

. لا يعودُ إلى هنا سوى الغشيم.

ثمّ أضافَ بعد توقّفٍ قصيرٍ حينَ أدركَ أنّ الغشيمِ يجلسُ إلى جواره:

. بشكلٍ عامٍ يعني ولا أقصدُ شيئاً.

أشعلتُ سيجارة مع ابتسامةٍ صفراء ثم رحْتُ أفكّر:  
ربما كانَ الحقّ معه، ما الذي جاءَ بي إلى هذا المكانِ المُظلم!  
هكذا، رحْتُ أستعيدُ تفاصيل الرحلة.

ساعتان من التحضير المباشر، ثلاث ساعاتٍ في مطار دبي، ثلاث  
ساعاتٍ ونصف في الجو، ساعة ونصف في مطار بيروت، ساعتان  
إلى معبر العريضة الحدودي، ساعة لإتمام إجراءات الدخول..  
وبعد أن استفسرتُ عن المدة التي سنستغرقها كي نصلَ إلى  
اللاذقية، قالَ إنها تتراوحُ بين الساعة والنصف والساعتين.

هكذا، يكونُ مجموعُ الساعاتِ التي تطلبها الوصول:  
خمسة عشر ساعة.

ليسَ للخروجِ من سوريا، بل للدخولِ إليها.  
لم أعد أذكرُ كلماتٍ مذيعة الراديو، لكنّي أذكرُ تماماً أغنية (صباح)  
إثر ذلك وهي تلتحمُ مع الهواءِ المندفعِ عبرَ النوافذِ المُشرعة..

"يا طالعين ع الجبل لا تنسوني  
خلّوني روح أسأل عن نور عيوني"  
كانَ الجميع في الانتظار..  
يا لتلك اللحظات ..

أمي بوجه الملاك المحفور في القلب..

أبي المكافح الذي يشتري الشقاء على حدّ تعبير "أبو الزين "

أخوتي الصغار، الذين لم يعودوا صغاراً ..

كان لقاءً درامياً بعد غيبة أربعة وثمانين شهراً، استمرّ لنصف ساعة، ثمّ بلباقتي التي يشهدُ لها القاضي والداني، طردتهم كي أنام..

\*\*\*\*\*

انتظرتُ بعضَ الوقتِ كي يختفي سربُ النملِ من عروقي حين استيقظت، دون منبه!

مُبحلقاً في السقف، وبلدّةٍ غريبة، استعدتُ تفاصيلَ اليوم الماضي.

قاومت رغبتني الملحّة بإشعالِ سيجارةٍ ريثما صنعتُ لنفسي فنجاناً من القهوة.

ثمة برنامجٌ من الواجبات والزيارات التي لا بدّ منها.. ثم إلى "باب جنة".

هناك، على ارتفاع 1500 متر عن سطح البحر، لن أكونَ مضطراً لمحاربة طواحين الرطوبة وانقطاع الكهرباء المستمر.

انقطاعها في تلك الجبال نعمة، بالنسبة إلي.

على النقيض من "بسنادا" التي تحوّلت بسبب الكثافة السكانية، وغابات الإسمنت القبيحة، إلى مكانٍ بلا هوية، كانت "باب جنة" تنتظرني كما عهدتها..

أشجارٌ على مدّ النظر، سنديان، تفاح، كرز، إجاص، جوز، شوح،  
ونسيمٌ لا يدخلُ القلبَ وحسب، بل يلجُ الروح.

مساءً، وببساطة تقشعُر لها الأبدان، تطلُّ ملايين النجماتِ برغبةٍ  
مذهلة للقطف..

المياه مقطوعة! وماذا يعني ذلك! نبعة الضيعة أقربُ من أنفاسِ  
سيجارة..

\*\*\*

.ألو حبيب، كيفك

.تمام ابن العم

.سنزور "صلنفة" اليوم، سيارتك جاهزة؟

.لعيونك.

كان مشهداً جميلاً..

المئاتُ من البشرِ والسيارات يطوفون أرجاء "صلنفة" قادمين  
من مختلفِ المحافظاتِ السورية كي يروّحوا عن أنفسهم..

في طريقِ العودة المُقفر سألَ حبيب:

.كيف جرت الأمور؟

أشعلتُ سيجارةٍ وإثر تنهيدة قلت:

لا أخفيك سعادتي، لكن من الصعب أن أداري الكمد.

.الله لا يجيب زعل. لم الحزن؟

سحبت نفساً قوياً من سيجارتي وأجبت:

"كي أمشي في صلنفة، دون أن أشعر كثيراً بالفارق الطبقي المهول بيني وبين هؤلاء، كان لا بد أن أتغرب عن البلد 14 عاماً، سبعة منها متصلات، ولو أتي في هذه اللحظة قرّرت البقاء هنا، بعد خمسة أشهر بالكثير، لن أكون قادراً على المشي في صلنفة بين الأغنياء. إن كنت تفهم ما أعنيه".

\*\*\*

دعاني "أبو علي صباء" إلى وليمة التبغ العربي ذي الجودة العالية فأنهينا لفّ سيجارتينا وشرعنا بالتدخين.

كنا جالسين تحت شجرة "الززلخت" أمام بيتنا المُتهالك..

فجأة نهض أبو علي كمن (وجدها) وقال :

.سنذهب إلى (الرويديف) .

الرويديف، هو الاسم الذي نطلقه في "باب جنة" على محمية الشوح الطبيعية والتي يتطلب الوصول إليها اجتياز سبعة كيلومترات صعوداً، ولا أثر فيها للأرض المنبسطة إلا عند الوصول.

نظرتُ إليه شزراً وبعد أن نفختُ الدخان بروية قلت:

.نحن خمسة أيها البطل، كيف سنصعدُ إلى هناك؟

ابتسم بو علي صباء ابتسامه من يعلم ما لا يعلمه الآخرون ثم  
قال:

. على هذه الدراجة النارية، وعلى دفعتين، دع الأمر لي ..

فعلاً، كانَ على قدرِ كلامه ..

في الرويديف سرّ من أسرار الكون..

الإطالة من ذلك الارتفاع الشاهق على سهل الغاب، أصابع  
الرياح توشكُ على التحليق بك كما لو كنتُ كما كنتُ من قبل..  
مجرد ذرة ..

ألوانُ الورقِ المبعثرِ في كلِّ مكان

\*\*\*\*

لا بدّ من العودةِ إلى اللاذقيةِ قبلَ السفرِ بأسبوع..

الناسُ أنهكها الغلاءُ الفاحشُ واستمتعُ المسؤولين اللئام بعمليةِ  
الاعتصابِ الجماعي للبشر.

الناسُ يمشون في الشوارعِ كجنودٍ تكسرت السهامُ في أجسادهم  
ولم تحقق بعد، الطعنة القاتلة.

سحابة داكنة تخيم على البلادِ لا يكشفُ بعض عتمها سوى....  
النساء.

يا إله العرش كم رأيتُ في تلكَ الإجازة القصيرة من نساء، صغيرات،  
كبيرات، نحيلات، ممتلئات، خجولات، جريئات، أجسادُ شهية



تتجوّل في الشوارع ضاربة بعرض الحائط كلّ البؤس والقهر  
والفقر.

قلت لنفسي :

"السبب الحقيقي لعدم حدوث جلطةٍ جماعيةٍ في سوريا يكمنُ  
بين تلك النهود الساحرة.. باركها الله"

\*\*\*

.ألو.. كيفك

.الحمد لله

.رحنا ع الأبحاث؟

.رحنا.

وضعت في حقيبتي الصغيرة زجاجتين من البيرة وكان "علي" خلف  
مقود سيارته بانتظاري.

.نجلسُ قرب الكهف أم قرب "الشكّات"؟

.ما بتفرق..

.معناها لعند الشكات .

شاطئُ الأبحاثِ مترعٌ بالصخور المُدبّبة والقاسية، يبدأ عمقُ  
المياهِ بعدها مباشرةً بمترين وأكثر، أمّا "الشكّات" فهي المكانُ ذو  
الصخور التي ترتفعُ عن سطح البحر أكثر من ثلاثة أمتار،

ويستخدمها السباحون كمنصةٍ غير إلكترونية للقفزِ على رؤوسهم  
في قلبِ الماء، الذي لا يجاريه في البحارِ ماء.

عمنا، غطسنا نحو القاع، ولسببٍ لا يبدو غريباً، عنت على بالي  
أغنية سيد درويش الخالدة فرحتُ أدندنها ..

"تلوم علياً ازاى يا سيدنا

وخير بلادنا ما هوش بايدنا"

عندما خرجنا من البحرِ وجلسنا فوقَ صخرةٍ شبه ملساء رحنا  
نشرب البيرة بنهم..

أشعلتُ سيجارةً وسألتُ:

"أليسَ من الظلمِ أن يكونَ أجملُ مكانٍ في العالمِ قريباً إلى هذه  
الدرجة ولا أستطيعُ العيش فيه"

لكن، لم يكن ثمة من جواب.

\*\*\*

لكلّ بدايةٍ.. نهايةٍ..

كنتُ أعتقدُ، وبسببِ سنيّ الغربة الطويلة، أن مشاعرَ يومِ السفرِ  
القاتلة، لن تغلبنى كما كانت تفعل دائماً..

يا لحماقتي..

إلى اللقاء سوريا... بحبك

## يومٌ شتائيٌ داكن

قراة منتصفِ الليلِ، في يومِ شتائيِ داكن، وبعدَ مُضي سبعمِ سنواتٍ وتسعةِ أشهرٍ، من رحلةِ الموتِ الغامضة.  
كانَ الظلامُ في القبرِ حالكاً، وبسرعةِ البرقِ تداعت إلى رأسِهِ التفاصيل.

ذئبان خلفَ شجرةٍ عارية في مقبرةِ القرية، وقفَا دونَ حراكٍ وهما يراقبان حجارةِ المثوى تتكسَّرُ وينزاحُ من بينها التراب.

حينَ خرجَ من اللحد، كانَ البدرُ يسدلُ على الأرضِ وشاحاً من الفضةِ الباردة، وما أن انتصبَ واقفاً على قدميه، حتى أطلقَ الذئبان عواءً مُرعباً، ولاذا بالفرار.

كانت التفاصيل موجزة كشريطِ سينمائي بالأبيض والأسود.  
عائلة سورية متواضعة الحال مادياً.

والدان وأربعة أبناء.

حربٌ مستمرة لتأمين لقمةِ الأكلِ والعيشِ البسيط جداً، في بلادٍ أحبَّها من طرفٍ واحد.

تداعت التفاصيل..

حربٌ عسكرية ضدَّ البلادِ التي أحبَّها من طرفٍ واحد.

التحاقُ بصفوفِ الجيشِ للدفاعِ عن البلادِ التي أحبّها من طرفٍ واحد.

درعا، حمص، حلب..

رصاصَةٌ في الرأس، ثم ظلامٌ حالك.

على ضوءِ القمرِ قرأ اسمه فوقَ الرخامة التي مالت على كتفِ الترابِ المُضرجِ بالماءِ والدماء.

ابتسم في سرّه وقال:

.علّها لم تذهب هباء.

رمى ببصره صوبَ القرية القريبة ثم اتخذ القرار.

سينتظرُ الصباح.

الناسُ غير معتادين على رؤية الأمواتِ وهم سائرين، لا يريدُ أن يتسببَ لأحدهم بسكتةً قلبية.

الشعورُ الطيبُ بالدفء، منحه شيئاً من السعادة وكان أكثر ما تفاجأ به، الشوقُ للنوم.

هناك، في عالم الظلام المُطبق، الأمرُ مختلف.

لا يعلمُ تماماً متى استفاق، بيدَ أنّ الشمسَ كانت قد سبقته.

دون أن يبدّد الوقت، توجه إلى القرية.

حين ألقى السلامَ على أوّل شخصٍ صادفه ولم يجبه، أدركَ بخيبةٍ كيفَ تسيرُ الأمور.

قال لنفسه:

.كنت أخشى من ردة فعلهم، لكن ها أنا أتمناها.

ثم أردف وهو يطالعُ وجوهَ الناس المتعبة:

.لا بأس، ربما كانت فرصة تُمنحُ لمرةٍ واحدةٍ كي أرى ما آلت إليه الأمور.

ثمة دماءٌ كثيرةٌ سُفِكت كي تصبحَ البلادُ أفضلَ لكن هذه الوجوه، لا توحى بذلك.

رأى طوابيرَ الخبز والغاز، رأى الحزنَ في البيوتات الفقيرة، الملابس المهترئة فوقَ حبال الغسيل، اليأسَ في قلوبِ الناس، بعض الصور الباهتة للشهداء، وصوراً كثيرةً للزعيم.

أسرعَ إلى بيتِ أهله، وقبلَ أن يصلَ بأمّتار، عاد أدراجه إلى القبر. كانت طلائعُ المساء قد حلّت، وهناك في القرية، قطعوا الكهرباء.



## لوحة فارغة لامرأة عارية

عندما رأيت التفاصيل، تسمّرتُ في مكاني.  
قبل ساعة، أو بعد ساعة، ما الفرق! بدأ الرذاذُ بالهطول..  
ارتديتُ معطفي وخرجتُ من القبو الذي استأجرتُهُ قبل عامٍ  
حين بدأت العمل في مطبعةٍ قريبة.  
كانت الأرضفةُ خاويةً من الناسٍ تقريباً ولسببٍ مقنع، يروقُ لي  
ذلك.

أشعلتُ سيجارةً وواصلتُ سيرتي ببطء، أمرّ قربَ المحالِ التي  
أغلقت أبوابها وتلك التي ما زالَ ضوءٌ خافتٌ يتسلّلُ من زجاجها  
فيجعلُ من الرذاذِ رموشاً لنساءٍ فائنات.

غالوري الأحلام يرحب بكم

الدعوة عامة

والتدخين مسموح

قرأت ما كان مكتوباً أمام صالة العرض المتاخمة للزاوية الغربية  
من شارع (الفردوس المفقود).

بما أن الدعوة عامة، دعوتُ نفسي إلى الدخول.

مذ رأيتُ التفاصيلَ أولَ مرة، تسمّرت في مكاني.  
شعرٌ بلونِ الذهبِ تبعثُر في الأرجاءِ كعاصفةٍ مُغرية.  
صاحبتهُ اتكأت بيدي على الأرضِ وهي جالسة، ثم رفعت الأخرى  
حتى تغلغلت الأصابعُ الرفيعة في الموجِ السارح.  
العينان تبتهلان للسماء، والفم المفتوحُ باغواءٍ يقطرُ لهباً.  
أخرجتُ من معطفي بانفعالٍ علبة التبغ، وأشعلتُ سيجارة دون  
أن أنتبه إلى أنني الزائر الوحيد.  
كانَ نهذا المرأة مرسومان بطريقةٍ تجبرك على تجاهلِ كل شيءٍ  
وذرفِ الدموع بسخاء.  
اقتربتُ من اللوحة المُعلّقة أكثر، ثم وضعتُ يدي فوق ثديها كي  
أتأكد أنه ليسَ حقيقياً.  
فجأة، شعرتُ بظلٍّ يرتسمُ على القماش. وحين التفت، رأيته  
مبتسماً.  
. سامحني على التطفلِ، بدا حقيقياً.  
. جميعُ النساءِ حقيقيّات، حتى اللواتي نرسمهنّ أو نتخيلهن.  
قاطعته:  
. أو نكتبهن.  
بانّت أسنانهُ بوضوحٍ لأوّل مرة.



سحب من غليونه نفساً عميقاً ونفث الدخان الذي بدا امتداداً  
للحيته الناصعة وقال:

.هي لك.

.أخشى أن سعرها ليس ضمن إمكاناتي المتواضعة.

.ومن أتى على سيرة السعر.. هذه هدية.

أجاب وهو يزعج اللوحة عن الجدار ثم راح يغلفها.

.تشرفت بمعرفتك.

.الشرف لي.

وكما ظهر في تلك الأمسية من العدم.. عاد "عمر حمدي"  
الغامض إليه.

حضنت اللوحة، وحثت الخطى مسرعاً باتجاه القبو.

أغلقت الباب على عجلٍ ثم ركنت اللوحة إلى الزاوية اليمنى.

خلعت معطفي وسكبت من زجاجة النبيذ في الكأس القليل.

بحرصٍ مُبالغٍ فيه، نزع الغلاف واخترت الجدار المواجه  
لسريري كي أعلق اللوحة.

تمددت على الفراش وأشعلت سيجارة.

.يا لها من امرأة.

أمضيتُ ما تبقى من أمسيّتي وأنا أتأملُ تفاصيلَ الجسدِ الساحرِ  
دون أن أدري كيف ومتى غفوت.

حين استيقظت ظهر اليوم التالي، أوشكَ قلبي على الاستقالة.

ازدردتُ ريقِي بوجل وأنا أصغي لصوتِ الماءِ المتدفقِ من  
(الدوش).

بيدٍ مرتعشة، أخرجتُ من علبة التبغ سيجارة، رحتُ أعبّها وأنا  
أطالعُ لوحةً فارغة.

## يا له من عالمٍ رائع

عندما كنتُ على ضفافِ السابعةِ أو الثامنةِ من العمر، انهارَ الاتحادُ السوفييتي.

أذكرُ كحلْمٍ يلقَهُ الضباب، في تلكِ الأمسيةِ البعيدة، عيني أبي الدامعتين وهو يشاهدُ في نشرةِ الأخبارِ الإعدامَ الافتراضي للرفيقي فلاديمير إيليتش لينين.

كانت رافعةُ عملاقة تُحكِّمُ الخناقَ على عنقِ التمثالِ البرونزي الضخم للرجلِ الذي سبقَ وأن ماتَ قبلَ الفاجعةِ التاريخيةِ بأكثرَ من خمسين عاماً.

مضى عامٌ أو اثنان، ثم نَشَبَت حربُ الخليجِ إثرَ اجتياحِ صدامٍ للكويت، في كوميديا دموية ما زال العربُ يدفعونَ ثمنها إلى الآن. تلكَ الأيام، سَرَت بين الناسِ شائعاتٌ أنَّ الحربَ ستصلُ إلينا.

بعضهم قال :

. لا بدّ من حفرِ الخنادقِ ..

هناك من قال :

. على الجميع أن يطلوا زجاجَ نوافذهم باللونِ الأزرق، كي لا ترى الطائراتُ المعاديةِ الأنوارَ المنبعثةَ مساءً فتقصفَ أماكنها..

حينَ أصبحتُ في الرابعة عشر، نشبت حربُ البلقان.  
على مدارِ ستين يوماً أو واحدٍ وستين، أمطرت الطائراتُ الأمريكية  
تلكَ البلادَ بالقذائفِ والقنابلِ إلى أن أحالتها خراباً.

ألقوا القبضَ على الرئيس سلوبودان ميلوسفيتش بعد أن دمروا  
البلاد، وبحجّة (التطهير العرقي) مارست الولايات المتحدة  
الأمريكية عاداتها في (التطهير الدولي) .

استمرت محاكمة الرجل أكثر من خمس سنوات، وحين فشلت  
المحكمة في إدانته سئمت الاستخباراتُ الأمريكية من عدم القدرة  
على اتخاذِ قرارِ إعدامه، فأعدمته على طريقته.. مُنتحراً .

في تشرين الأول من عام 2016، أي بعدَ مضي عشرين عاماً،  
أصدرت محكمة الجنايات الدولية التي شكلتها الولايات المتحدة  
وحلفاؤها في حلف الناتو حكماً برأت فيه كلاً من الرئيس الصربي  
سلوبودان ميلوسوفيتش ونائب رئيس الوزراء السابق فويسلاف  
سيسيلي من تهمة جرائم الحرب التي ارتكبت خلال حرب البوسنة.

هل لاحظتم كيف تعمل أمريكا!

الانتفاضة الفلسطينية الثانية بدأت عام 2000، كنت في  
الثامنة عشر ومن ثمّ في سنة 2001، وكنت أسافرُ لأوّل مرّة إلى  
العاصمة كي أقدمَ أوراق الانتسابِ إلى جامعة دمشق.. قالوا إن  
أمريكا تحترق .

بعد انتظارٍ دام لساعاتٍ في كلية الإعلام، استطعتُ أن أنجزَ تسجيلَ الأوراقِ بشكلٍ نهائيٍّ، وفي طريقِ العودةِ كانت الإذاعاتُ تبثُّ الأنباءَ العجالةَ عن الدمارِ الكبيرِ في نيويورك وواشنطن .

حين رجعت في المساء إلى البيت مجتازاً أكثر من ثلاثمائة كيلومتر، شاهدت في التلفاز كيف احترقت طائرتان كبيرتان برجي التجارة وما نجمَ عن ذلك من ويلات ..

ورغم أن الولايات المتحدة هي من يتألم، إحساسٌ غامضٌ قال:  
. لا تبتهج، ثمّة غيمٌ كثيفٌ في الأفق .

انطلقت بعدها الحربُ على أفغانستان ثمّ في العام 2003، أصبحت الحرب على العراق.

كانت أمريكا تستثمرُ تخريبَ برجين كي تخربَ نصفَ الكوكب .

ثمّة فيلمٌ بعنوان (ذيل الكلب) (Wag the Dog) للممثلين الرائعين (روبرت دينيرو) و (داستن هوفمن) وهو فيلم مبني على رواية (بطل أمريكي) للكاتب (لاري بينهارت)، شاهدوه.

عندما أعلنوا سقوط بغداد، شيءٌ في الروح سقط .

في العام 2005 قتلوا رفيق الحريري.

كنت جالساً قرب سائق السيرفيس العائد من المدينة إلى القرية وفي جعبتي هدية عيد العشاق.

أخرجتُ من جيبِ الجاكيّتِ علبة التبغِ وقدمتُ واحدة له ثمّ أشعلتُ واحدةً لنفسِي وأصابني الكمد.

مشاعري حيادية تجاه الراحل إلا أنّ حدساً ما همس:  
. الغبارُ الذي نجمَ عن قنبلةِ بيروت لن يقفَ عند حدودها.. أبداً.  
عام 2006 اندلعت الحربُ بينَ المقاومةِ اللبنانية والصهاينة ..  
وفي العام 2008 نشبت حربُ غزة.  
أصبحَ الغيمُ أشدَّ كثافةً وقتامة ولم يعد في الأفقِ البعيد.. أصبحَ  
أقرب.  
بعدَ ثلاثِ سنوات.. بدأت حربنا .  
الحربُ السورية التي اتخذت مسميات تبدو بعد عقدٍ من الزمان..  
هزلية.  
مئاتُ الآلافِ من القتلى، مدنٌ مُهدّمة، ملايين البشر من اللاجئين  
والمهاجرين، ملايين الجوعى، والأحياء الأموات، وعتّم.. عتّم  
مديد .  
ولأنّ كلّ ذلك لم يكن كافياً قبلَ أن أصبحَ في الثامنةِ والثلاثين..  
كانَ لا بدّ من كورونا.  
تقولُ الأغنية ..

أرى أشجاراً خضراء.. ووروداً حمراء أيضاً  
أراها تتفتحُ من أجلي ومن أجلك  
وأفكرُ في نفسي قائلاً.. يا له من عالمٍ رائع!  
أرى سماواتٍ زرقاء وغيوماً بيضاء

وأفكر في نفسي قائلاً.. يا له من عالمٍ رائع!  
ألوان قوس قُزح.. جميلةٌ جدًّا في السماء  
وتُشعّ بجمالٍ أيضاً على وجوه الناس من حولها  
أرى أصدقاء يصابحون بعضهم البعض  
قائلين.. كيف هي الأحوال  
أسمعُ صوتَ بكاءِ الأطفال.. أشاهدهم وهم يكبرون  
سوف يتعلمون أكثر بكثير من الأمور التي أعرفها  
وأفكرُ في نفسي قائلاً  
يا له من عالمٍ رائع!!





## في أماكن متفرقة من البلاد

أصرَّ المسؤولُ الكبير على حضورِ جنازةِ الشهيد في القريةِ الساحليةِ  
النائيةِ.

متجاهلاً كلَّ النصائح التي ساقها مستشاروه، ومن بينها أنَّ هذه  
الحركاتِ البهلوانية كانت مجدية مع بداية الحرب، وليس بعد مضي  
سنواتٍ عليها، أصدرَ أوامره كي يكونَ موكبُه هناك، في الموعدِ  
المُقرَّر للدفن.

حينَ وصلَ النبا إلى وسائلِ أنباءِ الحكومة، وكما لا تفعلُ حينَ يقترفُ  
جلادو هذه البلادِ الموبقات بحقَّ شعبها، أرسلت زبائنها كي ينقلوا  
الحدث، على الهواء مباشرة.

خرجَ النعشُ محمولاً على أكتافِ والدِ الشهيد ورفاقِ السلاحِ من  
غرفةٍ ترابيةٍ سقفها مسنودٌ ببعضِ جذوعِ الشجر.

بناهةِ المسؤولين، وهو يراقبُ المشهدَ بحياديةٍ تامة، سألَ  
مرافقيه:

.كيف قُتِل؟

.استشهدَ يا رفيق.. صحَّح أحدهم..

.كيف استشهدَ البطل؟

.قنبلة حوّلت جسدهُ إلى أشلاءٍ لم يبق منها سوى يدٍ واحدة، هي  
التي في النعش.

بدت ملامح الاستغراب على المسؤول وهو يتخيل المشهد ثم  
ومضت في رأسه فكرة.

بما أن الكاميرات تصوّر، وفي النعش لاشيء سوى (يد)! لم لا أشارك  
في حمل النعش إذًا؟

هذه دعاية مجانية إضافية.

بلا تردّد، أسرع المسؤول في سيره حتى أصبح قرب حملة النعش،  
ثم بحرص شديد، ودون أن يلتفت إلى الكاميرا، وضع كتفه إلى جوار  
الأكتاف التي ترفع التابوت.

كانت الطريق إلى مقبرة القرية ترابية وعرة، لا تلائم الحذاء الفاخر  
الذي يرتديه..

فجأة..

تعثّر المسؤول بإحدى الحجارة المتشبّثة بالأرض فاختلّ توازنه  
واصطدم بالرجل الذي أمامه فحدث ما لم يكن في الحسبان.

سقط النعش أرضاً.

ولأنّ علم الوطن لم يكن مُثبتاً بشكلٍ جيد، انزاح عن مكانه ودُهل  
الجميع مما رأوه .

صوب المكان الذي وقف فيه المسؤول ببدلته الفارهة والمُغبرة  
على غير عاداتها، كانت يد الشهيد التي بقيت سليمة قد تحوّلت إلى  
قبضة مشدودة ومنها انتصب إصبع واحد.

في أماكن متفرقة من البلاد، وعلى الهواء مباشرة كان الشعب يتابع  
مراسم الجنازة، كما لو كانت بالفعل عرساً، لأول مرة.

## تحت ثلوج سانت بطرسبورغ

جرت العادة، ولسنين طوال، أن يهتمَّ العربُ بالأدبِ الروسي الخالد، فسارعوا منذُ بداياتِ القرنِ الفائتِ إلى ترجمةِ بوشكين، تولستوي، دوستويفسكي، تشيخوف، إيتماتوف، تورغانيف و نابوكوف إلخ..

وما زالَ مثقفو هذه البلادِ "السعيدة"، في معرضِ استعراضهم للقراءات التي ضمّوها إلى رصيدهم المعرفي، يذكرون بفخرٍ نتاجِ أولئك العظماء لكن، هذا كان قبلي.

لسببٍ ما، نالت قصصي التي نشرتها في كتبٍ عدّة، وعلى مواقعِ التواصل الاجتماعي بطبيعة الحال، إعجاب الرفيق الروسي "فيتالي".

كان فيتالي من العاملين في الحقلِ الثقافي الذينَ على قلتهم. يذكر بشيءٍ من الفخرِ في معرضِ استعراضه للقراءات التي ضمّها إلى رصيده المعرفي، قصصاً من تألّفي.

فيتالي العزيز، وبالتعاونِ مع إحدى دورِ النشرِ الروسية العريقة، قام بترجمةِ كُتبي إلى لغةِ الفودكا نظراً لإتقانه العربية فحققت

نجاحاً لا بأس به في بلادِ العمِ بوتين، كما أكّد لي خلالَ مُراسلاتنا العديدة.

هكذا، وجدتُ نفسي، مدعوّاً لقراءةِ بعضِ القصص في (درة الإمبراطورية)، مكتبة روسيا الوطنية.

تقعُ الدرة في مدينة لينينغراد سابقاً، سانت بطرسبورغ حالياً، ثاني أكبر المدن الروسية، مقرّ متحف الأرميتاج وعاصمة الإمبراطورية القيصرية لأكثر من مئتي عام، مدينة صاحب بحيرة البجع، الرفيق المناضل "تشايكوفسكي".

كانَ فيتالي الطيّب في انتظاري عندما خرجتُ من بوابة المطارِ وندفُ من الثلج لا تتوقفُ عن التداعي العذب.

.ستقامُ القراءةُ القصصية بعد يومين.. أكّد مضيفي كما أكّد أن كلَّ التداير على ما يرام .

أوصلني إلى الفندقِ الذي سأمكثُ فيه خمسة أيّامٍ ثمّ قال :

.سأتركك الآن كي تستريح، ومساءً أمركي أصحابك في جولة. ليس من المقبول أن تزورَ المدينة دونَ التقاطِ بعض الصور، ومن يدري، ربما تنتظرُ قصة.

وهذا ما كان.

حين أصبحنا على التخومِ الرائعةِ لشارع ( نيفسكي بروسبيكت) أخرجتُ علبة التبغ من جيب معطفي ثمّ أشعلت سيجارة مشدوهاً بالجمالِ الأخاذ.

ما أن غدونا بعد مدةٍ قصيرةٍ في محطة الميتر أيقنتُ أنّ ذلك لم يكن سوى الافتتاحية .

60 متراً تحت سطح الأرض.

قد يصلحُ هذا عنواناً لإحدى روايات (جول فيرن) لكن ما هو إلا متوسط عمق محطات ميتر المدينة المزدانة بالتحفِ والتماثيل، والتاريخِ والدهشة.

وفي هذه الجولة الطويلة، اكتشفتُ أنّ المياه تشغلُ قسماً ليس بالقليل من أراضي المدينة وأن لقبها في الحقيقة هو (بندقية الشمال).

وكم كان الأسفُ بادياً على وجهِ مُترجمي حينَ قال :

. شاءت الظروفُ أن نستضيفك شتاءً، لو زرتنا في الصيف لقابلت شخصياً (الليالي البيضاء) ..

ثم أردف :

. في الليالي البيضاء، حينَ لا تغيبُ الشمس، يمكنكُ أن تقرأ كتاباً في الرابعةِ بعد منتصف الليل، على ضوئها.

كتنا على وشكِ الوصولِ إلى الفندقِ في طريقِ العودةِ فابتسمت وقلت:

. من الجيّد أن الكهرباء لا تخضعُ لحركةِ دوران الأرض.

ابتسم الرجل، وبعدَ أن تأكّد من صلاحيةِ خطِّ الهاتفِ الذي زوّدني به قال:

. في تمامِ السابعةِ من مساءٍ بعدِ غدٍ، أقلِّك إلى درّةِ الامبراطورية  
فكن على الموعدِ هنا تماماً .

كانت سماءُ منتصفِ الليلِ في (سانت بطرسبورغ) مُدلهمةً وتعدُّ  
بثلجٍ كثيفٍ.

ودّعته وعبرتُ بوابةَ الفندقِ متجهاً نحو البهو الذي كانَ خاوياً  
سوى من بضعةٍ سائحين.

وقبل أن أصلَ إلى المصعدِ الذي سيقلّني إلى غرفتي في الطابقِ  
الخامس، انتبهتُ إلى طاولةٍ تشغلها فتاةٌ في منتصفِ العشرينات،  
تقرأ كتاباً، فتذكرت وديع الصافي.

"وحلوةٌ بإيدا كتاب

سلمٌ على الحلوة"

ما كانَ ممّي إلا أن بحلقتُ فيها بالتزامن مع حركةٍ رأسها فالتقت  
نظراتنا، وربما كانَ مشهدي الأبله وأنا أبحلُقُ فيها ما دفعها  
للابتسام.

. أليسَ من الغريبِ أن يسافرُ رجلٌ إلى روسيا أولَ مرةٍ في حياته،  
ومن بين جميعِ النساءِ اللواتي يطلقنَ رشاً ودراكاً، كانت المرأةُ  
الوحيدة التي تجذبهُ ذات ملامح، عربية.

لطالما قالوا إن أحداً لا يعرفُ بما تفكّرُ فيه النساءُ لكنني أضيفُ:  
لا أحد يعرفُ ما الذي يريدهُ الرجال.

في بلادنا نمضي العمرَ ونحن نشتهي النساءَ الأجنبات، وعندما تتاح لنا فرصة زيارة الأجنب نبدأ باشتهاء النساء العربيات.

كنتُ على ثقةٍ دون أن تنطقَ بحرف، أنها عربية بقدر ما هي (شارابوفا) روسية لكن، لماذا لم تشح ببصرها عني وما زالت تبتسم.

إنها الآن تنهضُ من مكانها وتتجهُ صوبي.

. اللعنة، الثرثرة عن (تطبيق) النساء أسهلُ بألفِ مرّة من التنفيذ.

لهذا السبب، ولأسبابٍ عدة لا حصر لها ربما، وُجِدَت بائعاتُ الهوى، باركهنَّ الله .

.كم تريدين من المال؟

.كذا

.تمام .

بعد دقيقتين أو خمس، تبدأ الصبية قصيدة المديح التي أنقنتها لكثرة الاستخدام عن حجمِ أعضائك ورائحتها الزكية.

وبعد أن تصبحَ نطافك في جوفها إثر دقائق، تلملمُ أشياءها وتختفي .

إنَّهُ السهلُ الممتنع في أبهى تجلياته.

العلاقاتُ الواقعية التي تستهلك الروح، ليست كذلك.

أنا مرتبكٌ جداً، ولا أعرفُ هل تتقدّمُ الفتاة نحوي كي توبّخني على نظراتي الشهوانية أم لشيءٍ آخر، وماذا سأفعل؟  
مرحبا.

قالت والابتسامة لم تفارق شفيتها.  
ما أجمل كلمة مرحبا في البلاد البعيدة..  
مراحب.

سامحيني على التحديق لكن كنتُ في مراهنَةٍ مع نفسي على أنكِ عربية ويبدو أنني ربحتُ الرهان.  
بانّت أسنانها الناصعة أكثر وقالت:  
غيفارا، ثمّ مدت يدها.

صافحتها باندهاشٍ وأنا أعرفُ باسمي.  
أعلم، هل ترى ذلك الكتاب فوق الطاولة، خمّن من هو الكاتب...  
وصلتُ قبلَ ظهرِ اليومِ إلى (سانت بطرسبورغ) ولم أكن قد زرتها من قبل.

ألتقي مصادفةً بهذه الفتاة بعدَ منتصفِ الليلِ في فندقٍ لا أعرفُ اسمه، فجميعُ تدابيرِ الحجز والإقامة والتنقّل تولاهها العزيز فيتالي.

الفتاة الجميلة التي اسمها (غيفارا) عندما ذكّرتُ اسمي أمامها  
قالت:



.أعرف.. ثم أضافت:

. هل ترى ذلك الكتاب فوق الطاولة، حمّن من هو الكاتب.

. يا لها من افتتاحيّة ..

. بصراحة، لستُ أدري .

قلتُ وأنا أرمي بصري صوبَ الكتابِ دون طائل، فالمسافة لم تكن قريبة بما فيه الكفاية كي أقرأ عنوانه أو اسم مؤلفه أو أميّزه من تصميم الغلاف في حال سبقت لي قراءته.

. حاول أن تحزر.. أنا أبحرُ فيه بسببك.

. ممم، بسبيي..

أصبحَ الوضعُ بحاجةٍ سيجارة.

. الركنُ الذي أجلسُ فيه للمدخّنين، هل تقبل دعوتي؟

. أنا رجلٌ شرقي جداً والدعوة الوحيدة التي أقبلها من امرأةٍ جميلة.. سأخبرك عنها فيما بعد.

لم تستطع غيفارا، رغم محاولتها البائسة، أن تخفي ابتسامتها.

في طريقنا إلى الطاولةِ اجتهدَ عقلي الكسول كي يربطَ المُعطيات:

. الفتاة تعرفني، تجوبُ كتاباً بسبيي، لم أقابل الفتاة من قبل، نحنُ في بلادِ الروس التي وصلتها اليوم.

هناك احتمالان لا ثالث لهما:

. الفتاة جنّية ..

. الفتاة تتابعُ صفحتي على (الفيسبوك).

. (الوليمة المتنقلة).

قلتُ قبلَ أن نصلَ بخطوات.

نظرتُ إليّ بدهشةٍ وعلى شفثيها رسمت ابتسامة مأكرة ثمّ  
أمسكت الكتابَ وأدارت الغلافَ نحوي.

فتحتُ فمي وأرخيتُ (حنكي) كما يُقال.

كانَ الكتابُ بعنوان (أيام في البدروسية).

جلسنا ثم طلبتُ كأسين من النبيذ، قدّمتُ لغيفارا سيجارة  
أشعلتها ثمّ أشعلتُ واحدةً لنفسي.

عبرَ الزجاجِ المُحيطِ ببهو الفندقِ رحنا نراقبُ ندفَ الثلجِ وهي  
تتداعى كما لو أنّها على موعدٍ معنا.

الشعورُ بالدفءِ وأنا أتابعُ التفاصيل البيضاء في الخارج، ووجودُ  
هذه الصبية الفاتنة قربي، منحاني إحساساً، منذ زمنٍ طويلٍ جداً  
لم أشعر به.

. لا أريدُ أن أدعي التواضعَ السخيف، لكن صدقاً لم أحسب أن  
أصادفَ معجبةً مثلك على بعدِ آلافِ الكيلومترات من الوطنِ  
المعطاء.

قلتُ وأنا أرشفُ من النبيذِ مُبحراً في عينيها، بشهوة، ثمّ أردفت:

. توقّعت أن يكون منظم الأمسية القصصية التي سأحييها قد دعا إليها عدداً من طلبة الجامعة الروس المهتمين بالأدب العربي فقط، وكّلي آذانٌ صاغية.

بغوايةٍ زادت من سحرها، أمسكت غيفارا كأسَ النبيذِ ورشفت، ثمّ عبّت من السيجارة باستخدام بعض الأسلحةِ الأثوية التي لا تخطئُ هدفها، وقالت بينما يخرجُ الدخانُ من تلك الشفتين الشبقتين برويةٍ :

. في منتصفِ الثمانينات وفدَ أبي من سوريا إلى روسيا كي يكملَ تعليمه، تزوّج أُمّي التي كانت ..

قاطعته وأنا أشيرُ إلى وجهها:

. يبدو أنّ جيناتنا السوريّة أقوى من السلافية بأشواط..

ابتسمت ثم أردفت:

. تزوّج أُمّي التي وفدت من سوريا كي تكملَ تعليمها أيضاً وكانت زميلته في كلية الطب..

متفاجئاً قاطعتُ مرّة ثانية :

. يا لهُ من حُبِّ جارفِ ذلك الذي دفعه للتضحية بجميع (الخيارات) الروسيّة من أجلِ أمكِ العزيرة ..

لم يرق التعقيب لغيفارا، فحاولتُ أن أصلح ما أفسدته العبارة السابقة وأنا أتأملها بعمق:

. لنكن صريحين، بالنظرِ إلى النتيجة، لقد كانَ على حق.

تجاهلت غيفارا كل ذلك وقالت:

. هكذا ولدتُ ونشأتُ وتعلّمتُ هنا.

بيتنا لا يبعد عن هذا الفندق بالسيارة أكثر من 15 كيلومتراً.  
أزورُ سوريا مع والديّ في الإجازات إلى أن جاءت الحرب فتوقفنا  
عن ذلك.

من خلال مكتبة والدي تعرّفت على الأدب العربي وأدمنتُ  
القراءة، ثمّ عبر (الفيسبوك) رحّت أتابع بعض الأدباء وذات يوم،  
شاركت إحدى صديقتي قصة من قصصك ولأكثر من ساعتين  
بعدها كنتُ أتجولُ عارية في صفحتك.

من يومها وأنا أتابعك بصمت.

### تتجولُ في صفحتي عارية

يا له من وصفٍ لم تجد به عليّ أجراً العاشقات الافتراضيات  
اللواتي جمعتني بهنّ علاقات عابرة في الفضاء الأزرق.  
. ولماذا بصمت؟ سألت بحسرة.

. لست أدري..

. كيف حصلتي على نسخة ورقية من كتابي؟

. عندما أعلنت عن صدوره قبل عام، أجريت بعض الاتصالات،  
أرسلتُ النقود المطلوبة، وبعد مدة، أصبح صديقي.

. لست سهلة على الإطلاق. قلتُ مازحاً، ثمّ أردفت:

.ولماذا تجلسُ فتاةً مثلك بعد منتصفِ الليل وحيدة في فندقٍ لا  
يبعد عن منزلها سوى كيلومترات قليلة.  
.أنتظرك.

قالت بارتباكٍ وهي تمسك الكأسَ من حوافه وتحركهُ بشكلٍ  
دائري فيصنعُ ما تبقى من النبيذِ داخله دوامةً تغري بعاصفةٍ  
خمرية.

بدأت أشعرُ ببعضِ القلق.

في الأحوالِ الطبيعيَّة، سيكونُ انتظارُ فتاةٍ على ذا القدرِ من  
الجمالِ لحضرةٍ جنابي في مدينةٍ على التخومِ الشماليَّة للكرةِ  
الأرضية، مصدرًا للنشوةِ والسعادةِ والحبورِ والبهجةِ والسرورِ  
ودافعاً قوياً كي أخترعَ آلةً للزمنِ تُرجعني دائماً إلى هذه اللحظة في  
كلِّ مرةٍ لكن.. وعوضاً عن تلكِ المشاعر، أحسستُ بالقلق.

في الخارجِ، كانَ الثلجُ يتهادى مخموراً على موسيقى الأضواءِ  
الباهتة التي تعزفها مصابيحِ الشارعِ القريب.

سحبتُ من علبةِ التبغِ سيجارةً جديدةً وبعد أن أشعلتها قلت:

.بدأت الأمورُ تصبحُ أكثرَ غرابةً، قلتِ إنكِ كنتِ في انتظاري!

.هذا صحيح.

.سأفترضُ أنّك، ومن خلالِ متابعتكِ لصفحتي على الفيسبوك،  
قرأتِ المنشور الذي كتبتهُ عن الأمسية القصصية وسفري إلى  
سانت بطرسبورغ..

تبتسم غيفارا بمكر، أتابع الكلام:  
لكن، من سابع المستحيلات أن تعرفني مكان إقامتي في الفندق.  
الشخص الوحيد الذي يعرفه هو فيتالي المترجم..  
وأنا أعرف فيتالي.  
قالت بهدوء كمن يضع نقطة في آخر السطر.

\*\*\*

لطالما رفضتُ العبارة القائلة إنَّ (المرأة فُحُّ نصبتُه الطبيعة للرجل) فما قاله السيد نيتشه ليس مقياساً أو مبدأً علينا اعتناقه، لكن، لماذا قفزت هذه العبارة تحديداً إلى رأسي، ومثل اسطوانة قديمة، راحت تدور، وتدور، وتدور!

كنتُ غارقاً في الدهشة حين اقتربت غيفارا أكثر فأصبح وجهها أمام وجهي كأنما ستقبلني، وقبل أن تتلامس الشفاه، توقفت دون أن تحيد بصرها عني وأضافت:  
لقد وظفته من أجلك.

شعرتُ بالعرق ينحدر أسفل ظهري، وفجأة هبت ريح قوية سمعنا صوتها من داخل الفندق.

نهضتُ عن الكرسي دون أن أتفوه بحرفٍ واتجهتُ صوب المصعد.

حين ولجت، كانت إلى جوارِي والكتابُ في يدها.

كَلَّمَا قَلْتُ لِنَفْسِي إِنَّ عِدَدَ النِّسَاءِ اللّوَاتِي عَاشَرْتَهُنَّ يَتِيحُ لِي التَّبَجُّحَ  
وَالادِّعَاءَ بِقُدْرَتِي عَلَى فَهْمِ الْجِنْسِ (اللطيف)، خَرَجْتُ مِنَ الْغَيْبِ  
سَيِّدَةَ تَقُولُ:

كَمْ أَنْتَ أَحْمَقُ.

تَوَقَّفَ الْمَصْعَدُ عِنْدَ الطَّابِقِ الْخَامِسِ، فَسَبَقْتَنِي غِيْفَارًا فِي نَفْسِ  
الْإِتِّجَاهِ نَحْوِ الْغُرْفَةِ رَقْمِ 507.

لَا أَنْكُرُ، تَوَقَّعْتُ الْحَرَكَةَ.

مِنْ قَامَتْ بِكُلِّ تِلْكَ التَّدَابِيرِ، لَنْ تَعْجَزَ عَنِ حِجْزِ غُرْفَةٍ مُجَاوِرَةٍ.

كَانَ جَسَدُهَا تَحْفَةً حَقِيقِيَّةً، طَوَّلَهَا لَا يَقِلُّ عَنْ 167 سَمًا، لَهَا  
نَهْدَانِ أَشْبَهُ بِمُوكِبِينَ يَتَقَدَّمَانِهَا لِلْإِعْلَانِ عَنْ وَصُولِهَا الْمَلِكِي، أَمَّا  
مُؤَخَّرَتُهَا فَيُمْكِنُ اعْتِبَارُهَا، دُونَ مَبَالِغَةِ، لَوْحَةٍ تَعَادَلُ فِي أَهْمِيَّتِهَا  
وَجَمَالِهَا "جُوكَانْدَا" لِيُونَارْدُو أَوْ "حَلْم" بَابِلُو، إِنْ لَمْ تَتَفَوَّقْ عَلَيْهِمَا،  
قَوْلًا وَاحِدًا.

عِنْدَمَا تَوَقَّفْتُ غِيْفَارًا أَمَامَ الْبَابِ وَأَخْرَجْتُ الْبَطَاقَةَ ثُمَّ غَابَتْ،  
ظَنَنْتُ الْمَسَافَةَ بَيْنَنَا، وَتَرَاصَفَ الْغُرْفِ فِي الْمَمْرِّ كَالدُّومِينُو، سَبَبَ  
ارْتِبَاكِي لَكِنْ..

حِينَ اسْتَعْدَمْتُ بِطَاقَتِي لَوْلُوجِ الْغُرْفَةِ، وَرَأَيْتَهَا تَقْفُ هُنَاكَ  
بِطَرِيقَةٍ مَسْرُحِيَّةٍ تَدْعُونِي فِيهَا إِلَى التَّقَدُّمِ، أَدْرَكْتُ أَنَّ مَا شَاهَدْتَهُ  
هُوَ تَمَامًا مَا حَدَثَ، وَأَنَّ غُرْفَتِي هِيَ الْغُرْفَةُ الَّتِي دَخَلْتُهَا غِيْفَارًا.

خَزَانَةُ مَلَابِسٍ وَثَلَاجَةِ صَغِيرَةٍ جَدًّا إِلَى جَوَارِهَا (بَارٌّ) يَحْتَوِي  
العديد من زجاجات الخمر عن اليسار.

الحمّامُ عن اليمين، وكانَ سريرٌ مزدوجٌ يتوسّطُ الغرفةَ قبالتّه، وعلى جدارٍ مُزَيّنٍ ببعضِ اللوحاتِ المزوّرة عُلقت شاشة تلفاز. بين السريرِ وبابِ الشرفَةِ الزجاجي، ثمة طاولةٌ فوقها منفضةٌ وحولها ثلاثُ كراسٍ.

قربها وضعتُ حقيبتِي متوسطة الحجم التي أحضرتُ فيها بعضَ الملابس والأشياء الضرورية.

كل شيءٍ كانَ على حاله عندما غادرتُ مع فيتالي ولم يكن في الغرفة ما يدلُّ على دخولٍ أحدٍ سواي إليها أثناء غيابي.

تقدّمتُ صوبَ إحدى الكراسي، ثمّ تهاديتُ فوقها وأنا أصفّقُ بطريقةٍ لا تقلُّ مسرحيةً عن دعوتها قبلَ قليل.

أخرجتُ من علبةِ التبغِ سيجارةً أشعلتها وأنا أتأملُ هذه الفتاة المُستحيلة.

. من الواضح أنّ العزيز (فيتالي) موظفٌ مُجتهد.

قلتُ وأنا أراقبها بينما كانت تتقدّمُ من الكرسي المُقابل، وبعدَ أن جَلستُ دونَ أن تبارحَ أمكُرُ ابتسامَةٍ في العالمِ شفّتها قالت بعنجهية:

. أكثرِ ممّا تتخيّل.

. والآن، هلاً تفضّلتِ وأخبرتني عن العلاقة التي تجمعكِ بمترجمِ قصصي الروسي، والذي لم يكتفِ بتزويدكِ بمكانِ إقامتي بل بمفتاحِ غرفتي؟ وأية لعبةٍ نلعبها هنا!



. ما رأيك ببعض النبيذ؟  
. أحتاج الكثير من الخمر كي أواكب تفاصيلك.  
نهضت غيفارا عن الكرسي واتجهت صوب البار المُزدحم.  
فتحت زجاجة نبيذٍ شربت مباشرة من فمها ومررتها إلي.  
رؤيتها وهي تمصّ فمّ الزجاجة أثارت موجة من الحنين، غيفارا لم  
تسمح لها بالارتفاع أكثر لأنها قالت وهي تشعلُ سيجارة:  
. مترجمُ قصصك يا عزيزي هو واحدٌ من أمهر وأذكي مصممي  
(الغرافيك)، ولو أنّ السيدة والدتي أنجبت لي أخاً لما كانت علاقتي  
به أفضل من علاقتي بفيتالي.  
خفت وتيرة الرياح في الخارج وعاد الثلج إلى التساقط بروية.  
عبت من سيجارتها وأضافت:  
. أخبرتك عن إعجابي بقصصك لكن لم أخبرك عن حُبّي لك.  
لا ترفع حاجبيك بهذه الطريقة السخيفة أرجوك، نعم يمكن  
للمرأة أن تقع في غرامٍ كاتبٍ لم تسبق لها مُقابلته وعليك أن تكون  
أدرى الناس بذلك.  
قلتُ بعد أن أفرغت الزجاجة من ربيع محتواها دفعة واحدة:  
. لا شكّ عندي ولكن، المجتمع الذي تعيشين فيه، والمسافة التي  
تفصل بيننا، وغيرها من الأمور تجعلُ هذا الحبّ مستحيلاً كي لا  
أقول.. سخيفاً.. ثمّ أضفت:

أرجوك لا تستهيني بذكائي وتقولي إن حاستك التاسعة قالت لك ذات صباح وأنت تمارسين اليوغا إن صديقك مُتعدد المواهب سيقومُ بترجمةِ كتبي إلى الروسية ثم يدعوني إلى درّة الإمبراطورية كي أقرأ بعض قصصي..

تقتلني ابتسامه مكرها كلما ارتسمت فوق شفثيها وها هي ترتسمُ قبل أن تقول:

.أشكّ بوجودِ أكثر من ستّ حواس لذا لن أخبرك عن التوقّعات، سأخبرك عن العمل.

استولت على عقلي فكرة مقابلتك ولو مرّة واحدة في هذا العمر، مغامرة، تجربة، جنون.. سمّها ما شئت.

قمتُ بترجمة بعض الصفحات من كتابك إلى اللغة الروسية.

طلبتُ من فيتالي العزيز أن يُصمّم غلاف الكتاب كي يبدو كما لو أنه صادرٌ بالفعل عن دار نشر روسية.

بعد ذلك قام صديقي بتصميم دعوة الأمسية القصصية في مكتبة روسيا الوطنية وعليها بأحرفٍ من ذهب:

اسمك الكبير.

كنا حريصين أن يبدو كلُّ شيءٍ في قمة الاحترافِ والمهنية.

بالطبع شخصٌ موسوس مثلك سيعرضُ كلّ الرسائلِ مع فيتالي على خبير لغة قبل أن يضع مؤخرته في طائرة متجهة صوب الشمال البعيد.

وقبلَ أن أفتحَ فمي كي أنطقَ أضافت:

.التكلفة! أليس هذا ما كنتَ ستسألُ عنه؟

تذكرة طيران إلى سانت بطرسبورغ + إقامة في فندق لخمسة أيام،  
وبعض المصروفات الجانبية..

صدّقي، ما يتقاضاهُ والدي أجراً عن عمليةٍ جراحيةٍ واحدة، أكثر  
من ذلك بكثير.. بكثير، بكثير.

كانت الدوّامة التي يصارعُ عقلي في لجّتها أكبر من قدرته على  
الاستيعاب..

. وماذا عن الأدب؟ القصص؟ القراءة في درّة الإمبراطورية  
الروسية؟

قلتُ وأنا بالكادِ أصدقُ التفاصيل..

مثل مخمورٍ نهضتُ ورحتُ أمشي في المساحاتِ المُتاحة داخل  
الغرفة..

. ماذا عن نقطة التحوّل في الأدب العربي!

كنت حتى لحظاتٍ أعتقدُ أن ترجمة كتبي إلى اللغة الروسية  
سيجعلني بأهمية بوشكين، تولستوي، دوستوفسكي،  
تشيخوف، إيتماتوف، تورغانيف ونابوكوف..

كانت غيفارا قد نهضت عن الكرسي وبدأت بخلع كنزتها وبنطال  
الجينز فبانَ أشهى ما رأيتهُ في حياتي.

بقيت بملابسها الداخلية ثمّ تقدّمت من السرير واستلقت فوقه.

كانت تنظرُ إليَّ نظرة تحملُ كلَّ الحبِّ في هذا العالم، وببيدها  
راحت تشيرُ إلى جسدها، ثم قالت:  
. هذا، وكلُّ ما فعلتهُ كي نلتقي، يجعلك أكثر أهمية منهم جميعاً..  
على الأقل.. بالنسبة لي.

## صفحةُ بيضاء

منذُ شهرين، وعشراتِ السجائر، وأكثرِ من تسعِ زجاجاتِ خمر،  
كُلَّ مساءً، يحدثُ أمرٌ مُريبٌ.

بثقةٍ ورويةٍ، أفتحُ هذهِ الصفحةَ وأكتبُ..

أكتبُ عباراتٍ طويلةً، أكتبُ عباراتٍ قصيرةً..

أكتبُ كلماتٍ جيّدةً، أكتبُ كلماتٍ مُخزيةً.

أكتبُ إلى أن يينغَ الفجر، ثمّ أستسلمُ للرقاد.

حينَ أرجعُ في المساء، إلى تلكِ الصفحة، وأتأملها ملياً..

أراها فارغةً.

مثلي..

منذُ شهرين، وعشراتِ السجائر، وأكثرِ من تسعِ زجاجاتِ خمر..

كُلَّ مساءً، تتأملني هذهِ الصفحةُ ملياً..

وتراني فارغاً.



أسيل..

## هدفي الخالد في مرمى الزمن

الخميس 2 أيلول . التاسعة قبل منتصفِ الظهيرة.

لم أستسلم بعد، لكن تعبت.

أحتاجُ سيجارة.

بحياءٍ أطلَّ الخريفُ كامرأةٍ تخطفُ لمحَةً عبرَ النافذة وتتوارى  
خلفَ الستار.

أعيدُ للمرةِ التاسعةِ مراجعةَ النصوصِ التي ستنشرها المجلة قبلَ  
إرسالها إلى المُخرج.

علماً أنها لا تحتاجُ أكثر من اثنتين.

في المكتبِ وحدي، بيداً أنّ الصوتَ كانَ صادحاً:

. لا بدّ من قراءةِ عاشرة، ربما سهوتَ أو غفلتَ عن خطأ ما.

"مو حلوة بحقك"

فيما مضى، قبلَ خمسةِ عشر عاماً، كنتُ أرتعدُ لدى سماعه.

التفتُ هنا وهناك بحثاً عنه، خاصة عندما يزورُ ليلاً مع صمتِ  
الكائنات ويهمسُ بأمورٍ مُخيفة..

الآن، لا أقولُ إني اعتدتُ على الوسواس القهري لكن، ولأني أعرفُ أنه موجود، توقفتُ عن التلقّت.. مكتفياً بالإذعان.

### الوسواس القهري في معجم البلدان:

" أفكارٌ وصورٌ تدخلُ إلى عقل الإنسان بطريقة مكررة يمكن للشخص السليم دفعها ومنع تكرارها أما في الحالة المرضية فإنه لا يقوى على دفعها أو منع تكرارها، فتأخذ به وتلح عليه وهو يحاول جاهداً مقاومتها دون جدوى، وكلما قاوم هذه الأفكار تزايد عنده القلق، وهو يعلم يقيناً أنها أفكاره وليست دخيلة عليه، ويعلم أنها تافهة.. رغم ذلك هو مضطر للتفكير فيها لا إرادياً، حتى إنه ليصاب بالاكتئاب إذا ما تبين له أن عمله ومستقبله سوف يتأثر نتيجة لذلك".

أعيدُ قراءة النصوص كآلةٍ عطبها في البرمجة وتحديثُ الإعدادات يحتاجُ أموالاً طائلة..

تنتشلي رنة الهاتفِ المحمول من مستنقعِ الكلماتِ الجاقّة إلى بحرِ حروفِ اسمها الرحيب:

(أسيل).

لو كانَ هاتفي مصنوعاً في العام 2050 أو 2070، لظهرت المعلومات التالية بتراصفٍ إلكتروني أخضر تحت اسمها مباشرة:

النوع: أنثى بيضاء

العمر: 25 سنة



الطول: 167 سم

لون العينين: بني

حالة الثديين: 45% فوق خط الحلمة و55% تحت الخط..  
مثالي.

الخصر: يُضْمُ بذراعٍ واحدة

المؤخرة: ترتجّ عند الصفع بالشكل المنشود.

مقاس القدم: 38

النتيجة: صاروخ أرض جو حارق خارق... مُتفجّر.

قالت بصوتٍ منحنه الطبيعة قوّة الحبة الزرقاء:

. خمّن نوع المفاجأة..

أعرفُ أسيل منذ سبعة شهور..

لمحتها تقفُ في محلّ لبيع العطورِ خلال زيارتي الأسبوعية  
للمول الذي أقصده مرغماً كي أبتاعَ حاجيات الأسبوعِ من أكلٍ  
وشربٍ وخلافه.

كانت تقفُ هناك بابتسامةٍ أسطوريةٍ وتحملُ في يدها، زجاجة  
عطر.

عملها يقتضي أن تقتربَ ممن يقتربون، ثمّ تنثر فوقَ معاصمهم  
باقة من الروائح الزكية.

حينها، كنتُ قد خرجتُ بخسائر نفسية وجسدية جسيمة من  
علاقةٍ حبِّ عاصفة.

الحبُّ خطير جداً، لست ضدهُ لكنه خطير..

كنتُ أحبُّ تلك الفتاة حُبًّا جارفاً ولا أنكرُ أنّها كانت تبادلني  
الحبِّ، لكن حساباتُ الزواج تنتصر.

هكذا، وببساطة، تخلّت عني كي تتزوج من رجلٍ لا أقولُ إنه  
فاحش الثراء، لكنه ثري.

جنسياً، عندما تكونُ مخلصاً لفتاةٍ واحدة، ستكونُ الخاسرَ الأكبر  
عند الفراق.

ناهيكَ عن الاختلافِ الكبير بين حاجةِ الرجلِ إلى الجنسِ وحاجةِ  
المرأةِ إليه، عندما يقع الفراق، تنبعثُ رائحة من الرجل تنبّه بقية  
النساء كي يبتعدن عنه ويتجنبنه..

هذه الرائحة، هي النقيضُ الصارخ للرائحةِ التي تنبعثُ منه عندما  
يكون مرتبطاً وتجذبُ النساءَ إليه..

لأمّنا الطبيعة أحكامها..

الإدمان على ممارسةِ الجنس مع فتاةٍ تحبّها، مع مرور الأيام  
والشهور والسنين سيجعلُ من الصعبِ عليكِ تقبّل فكرة أن  
تمارسهُ مع فتاةٍ أخرى.

هذا الشعورُ هو الطوقُ الذي تضعهُ الأنثى بغريزتها حولَ عنقك  
كي تكونَ حيوانها الأليف..

ولأتني كنتُ حيوانها الأليف، زهدتُ بالنساءِ بعدها إذ كنتُ  
مقتنعاً أنّ ما من نهدٍ سيكونُ كنهدها وما من مؤخره سترتجّ على  
السريّر كما كانت تفعل بمؤخرتها..

عشتُ كراهبٍ لسبعةٍ شهورٍ تقريباً، حتى ذلك اليوم الذي لمحتُ  
فيه أسيل واقفة بابتسامتها الأسطورية تحملُ في يدها زجاجة من  
العطر.

اقتربتُ منها كإنسانٍ الكهفِ في أوّل خروجٍ له بعد موسمِ الأمطارِ  
والعواصفِ..

خشيتُ أن أصدرَ أصواتاً مبهمه كتلك التي سبقت اختراع اللغة  
والكتابة، أو أن أقومَ بحركاتٍ لا إرادية كالتبول فوق قدميها  
لأجعلها من ممتلكاتي، لحسن الحظ، لم أفعل. واكتفيت بأن  
أدرتُ لها معصمي..

بتلك السبابة التي تصنع المعجزات، صَغَطت على رأسِ القارورةِ  
فتناثر الشذى من حولها وحطّ فوق ساعدي.

وكنت كَمَا تمعنتُ بأعضاءِ جسدها قلتُ في سرّي:

"يا رب، ساعدني.."

كيف سأخبرها عن رغبتِي في إقامةِ علاقةٍ معها بالطريقة التي  
تُرضي غرورها كامرأة..

الأثنى كائنٌ من الفضاءِ الخارجي.. هذه معلومة أكيدة.

تريدك أن تكذب ألف كذبة كي تسمح لك بالنوم معها ثم تقول  
لك في إحدى الجلسات:

.أكره الكذب.. أكره الكاذبين

لهذا، فيما بعد، بدأت أفضل بائعات الهوى..

هل تدركُ النساءُ حجمَ الارتباكِ الذي يتعرضُ له الرجلُ عند  
محاولةِ بدءِ الحديثِ للمرةِ الأولى!

جسدهُ يدفعهُ لشيءٍ، وعقلهُ يسوقهُ إلى شيءٍ آخر..

احتمالية الإحراج ورفض الحديث من باب الغرور أو من باب  
(التقل)..

أن تكون مرتبطة..

ألا يعجبها منظرُك من الأساس..

الخشية من الابتذال..

لا بدّ من سنّ قانونٍ اجتماعي جديد يجعلُ المرأةَ هي المبادرة..

قلتُ بارتباك:

.بصراحة، ورغم حبّي الشديد لرائحةِ العطور إلا أن استنشاقها أو  
شراءها لم يكن دافعي للمثول أمامك..

وبعد توقفٍ أضفت:

. لقد رأيتك وأصبتُ بما يسمونهُ في جزيرة صقلية بـ "صعقةِ  
الحُب"

لن أدخل في أحاديث جانبية تافهة..

هل من الممكن أن نلتقي وأتشفرت بالتعرف إليك ومحاولة استمالتك كي تقعي في حبي كما وقعت في شباكك دون محاولة منك..

لقد كانت ابتسامتك أكثر من كافية..

بدت أمارات الارتباك على ملامح الفتاة قليلاً، كان ذلك واضحاً. لكنّ ظلّ ابتسامته خفيفة ارتسم فوق شفيتها..

لم تكن بقوة الابتسامه "الإعلانية" التي تستخدمها في بيع العطر، لكنها دون شك، كانت ابتسامه أعمق.

لم تنطق يومها أسيل بحرف..

استدارت متجهة إلى مكتب صغير وكتبت فوق بطاقة زرقاء، ثمّ عادت إليّ وأعطتنيها.

حين نظرتُ ورأيتُ رقم الهاتفِ مُدَوَّنًا في تلك الفسحة السماوية، وددتُ لو كان بمقدوري أن أركضَ رافعاً يديّ، ثمّ أقفز كما فعل "دييغو أرماندو مارادونا" بعد أن راوغ لاعبي المنتخب الإنكليزي وحارس المرمى مسجلاً هدفاً خالداً ما زال صدها يتردّد منذ عام 1986.

كانت أسيل.. هدي الخالد الذي سيتردّد صده في مرمى الزمن..

مساءً، في ذلك اليوم، اتفقنا على اللقاء..

لشهرٍ كاملٍ نلتقي في مقهى بحري ثم حين تجرأتُ ودعوتها إلى  
غرفتي المستأجرة قالت:

. بشرطٍ واحد..

كنتُ كمن أوشك على رؤية الصندوق بعد إعياء البحث في جميع  
أرجاء الجزيرة..

أشعلتُ سيجارة بأصابع ترتجف وتساءلت بشبق..

. ما هو!

قد يمرّ العام في هذه البلاد دون أن تهطل قطرة مطر..

في ذلك اللقاء، تلبّدت السماء بغيم أزرق ثم فجأة..

راحت تمطر السماء..

رشفت أسيل القليل من العصير الذي أمامها وأجابت..

. سأذهبُ معك لكن إياك أن تكذب عليّ.. أكره الكذب وأكره  
الكاذبين

\*\*\*

تنثلني رنة الهاتف المحمول من مستنقع الكلمات الجافة إلى  
بحر حروف اسمها الرحيب:

(أسيل)

.ألو..

قالت بصوتٍ منحنهٍ الطبيعة قوّة الحبة الزرقاء:

..مرحباً.. أستاذ حازم؟!!

..بشحمهٍ ولحمه..

..معك أسيل من عيادة الدكتور توفيق عياش، خمن نوع المفاجأة

..قولي بالله عليك..

..عادَ الدكتور من إجازته وأرغبُ في تأكيدِ موعدكِ اليوم على

الساعة الخامسة عصرًا..

..مناسب لحضرتك..

..مناسب..

..تمام، شكرًا إليك..

\*\*

شاشة الكمبيوتر ما زالت تعجّ بكلماتِ النصوصِ التي تحتاجُ إلى

مراجعةٍ عاشرة..

بهدوءٍ مددتُ يدي إلى جيبِ القميصِ وأخرجتُ البطاقةَ الزرقاء..

الدكتور توفيق عياش..

اختصاصي الطب النفسي

هلاوس سمعية بصرية

"اكتئاب، انفصام شخصية، اضطراب ثنائي القطب"

زميل في دراسات الأمراض النفسية - الأكاديمية العربية  
البريطانية للتعليم العالي

في أسفل البطاقة، رقمٌ دونته أسيل للاحتياط، في حال كان هاتف  
العيادة معطلاً لسبب ما..

رقمها ربما، كي لا يتواصل المرضى مع الطبيب مباشرة، على  
الأرجح..

رقمٌ دونتهُ بخطّ يدها..

بتلك الأصابع التي تستطيعُ اجترَاحَ المعجزات..



## قيادة الراج روفر

يطيبُ للرفيق (أبو محمد) أن يناضلَ بعد مقابلاته التلفزيونية وهو يقودُ سيارتهُ (الراج روفر) متنقلاً بينَ الأحياءِ التي لا تُقطعُ فيها الكهرباءُ خمسَ ساعاتٍ بعدَ ساعةِ الوصل، كلَّ يومٍ.

قبلَ أربعين عاماً، وكانَ ما زالَ عضواً صغيراً، استوعبَ أصولَ اللعبة، ومنذ ذلكَ الحين، امتلكَ من مهارات النفاق، ما بَرَّ بهِ باقي الرفاق.

بدأت أسهمهُ بالارتفاع، إلى أن أصبحَ بعدَ أربعةِ عقودٍ وملايين الفقراءِ والمشردين، أستاذاً خبيراً ومُحاضراً بليغاً في معاني الصمودِ والتصدي.

وعلى الرغمِ من زيارتهِ لأرقى بلادِ العالمِ كسفيرٍ غيرِ معلن، إلا أنَّ الغيرةَ من ازدهارِ تلكَ الأمصارِ لم تعرفِ إلى نفسهِ طريقاً، بل العكس، إثرَ كلِّ زيارةٍ أمرٌ غريبٌ كانَ يحدثُ بشكلٍ مرعبٍ..

تروي الحكاياتُ المتداولةُ بينَ أبناءِ المسحوقينِ مفارقاتٍ مدهشةٍ تكادُ لا تُصدَّقُ حتى غدت مع الأيامِ نوعاً من الفلكلورِ والتراث.

يقولُ أحدهم :

إن زار الرفيقُ أبو محمدَ بلداً مُتقدِّماً في الصناعةِ بدأتِ الصناعةُ في الوطنِ رحلةَ الانحدارِ، وإن حلَّ ضيفاً لأيامٍ على بلدٍ متقدِّمٍ في الزراعةِ تقهقرتِ الغاباتُ والأشجارُ.. ثم التهمتِ النيرانُ .

يضيفُ آخر:

إن حظَّ الرفيقُ أبو محمدَ الرحالَ لأسبوعٍ أو أكثرٍ في دولةٍ تشتهرُ بالفنِّ المعماري، تشوّهتِ القرى قبلَ المدنِ ما أن يعود..

وهكذا دواليك ..

ممّا أثارَ حيرةَ الناس، لا بل جنونهم حدَّ الانفجارِ، أنّ القيادةَ الرشيدةَ، مع كلِّ انحطاطٍ تهوي إليه أحوالُ العبادِ والبلادِ، كانت تُعلي من شأنِ الرفيقِ أبو محمدَ، وتحسُنُ تكريمه، كما لو كانَ يؤدي، مهمةَ رسمية.

ثم حينَ حلّت الحربُ تبدت المفاجأةُ الكبرى ..

اكتشفت جماهيرُ العمالِ والفلاحين الذينَ تم استغلالهم لسنين طوال، أنّ الحكومةَ استنسخت من الرفيقِ أبو محمدَ، آلافَ الرفاقِ، ونشرتهم في مفاصلِ الدولةِ ومن بينها بالطبع.. وزارةَ الإعلامِ .

فعندَ الصباحِ، كانَ أحدُ الرفاقِ يُلقي خطاباً عن محاسنِ الصمودِ، والناسُ ليست ضدَّ ذلك، فقط إن توفرت عناصرُ الصمودِ..

وعندَ الظهيرةِ كانَ رفيقٌ مثله ينشدُ موشحاً عن فضائلِ التصدي، والناسُ لا مانعَ لديها إذا ما تأمّنت ركائزُ التصدي..

وعند العشية كان رفيقاً مثلهما يتفتن في صف الكلمات عن أجمل ما في نشيدنا الوطني من معانٍ عظام..

. (أبت أن تذلل النفوس الكرام)..

والناسُ تحبُّ ذلك، لو لم يكن جلّهم قد أنهكه الانتظارُ طيلة النهارِ في طواويرِ الذلِّ كي يؤمّنَ لقمةَ الطعام.

لكن، بعيداً عن كل ذلك..

كان من دواعي سرور الرفيق (أبو محمد) أن يناضلَ بعد مقابلاته التلفزيونية وهو يقودُ سيارتهُ (الرانج روفر) متنقلاً بين الأحياء التي لا تُقطعُ فيها الكهرباءُ خمسَ ساعاتٍ بعد ساعةِ الوصل، كلَّ يوم.



## تداعياتُ مُربيةٍ في يومِ إجازةِ فاجرٍ

الجمعة . أواخر أيلول

داهمني الارتباكُ وصدقاً، في البداية لم أستوعب التفاصيل.  
عصرَ ذلك اليوم، تمكّن السأمُ مِنِّي كنتيجةٍ حتميةٍ لعدمِ الالتزامِ  
بالقاعدةِ رقم واحد:

لا تمارس الحُبَّ صباح الإجازة، لأنَّ النهارَ سيكون باهتاً ومُضجراً.  
وكما تعلمون، لا تُوضَعُ القواعدُ عن عبث..

لم تساعدني قيلولة النهارِ في استردادِ الشغفِ بالقراءةِ أو الكتابةِ.  
كانت "تغريد" قد عادت إلى منزلها كي تُحضّرَ وجبة الغداءِ  
لزوجها، الذي يكبرها بعشرين عاماً.

سبق وأخبرتني بنيتها فعلَ ذلك ما أن ألجَّ عالمَ الرقادِ الغامضِ.  
حينَ استيقظت، مددتُ يدي إلى حيثُ كانت مستلقية على  
السريِرِ في غرفتي المستأجرة علّني أداعِبُ ذلكَ الجانبِ الملاصقِ  
للإبطِ من نهدها الحلبيي..

نصبي حينذاك لم يكن بأفضل من نصيب "عبد الحلیم " حين  
وجد نفسه ممسكاً الهواءَ بيديه.

اعتدلتُ في جلستي وما زلتُ فوقَ السرير.

فتحت الموبايل بعينين نصف مغمضتين لكن الرسائل كانت  
مساوية للرقم صفر..

تواصلَ مسلسلُ استغرابي جزاءَ الحالةِ التي طرأت منذ أشهر..

مع بداية شهرتي الإلكترونية قبل أعوامٍ ككاتبِ قصص، بدأت  
الفتياتُ بمراسلتي عبر "الماسنجر.."

حين تنامت هذه الشهرة تدريجياً، زاد عددُ الفتيات الراغبات في  
التواصل معي والتعبير عن حبهنَّ بأكثر من طريقة .

دونَ أي مبالغة، كنتُ أَلعبُ بالنساءِ وصورهنَّ الجريئة كما يلعبُ  
"نصير شمة" بأوتارِ عوده..

هو يصنعُ الموسيقى وأنا أصنعُ القصص..

لكن، ما أن بدأت علاقتي بالفتاة المتزوجة، حتى شحَّت رسائل  
النساء إلى أن نضبت منذ أشهر.. تماماً.

أوشكتُ على إشعالِ سيجارة لكنني حَفَزت نفسي..

نهضتُ بثناقلٍ واتجهتُ إلى المطبخ الصغير.

حين أصبحت القهوة جاهزة، سكبتهَا في فنجانٍ ناصعٍ ثم  
خلطتها بالقليل من الـ "Chivas"

بعد أول رشفة من السائلِ الداكن، أشعلتُ سيجارة.  
للمرة الثانية فشلتُ في عقدِ صداقةٍ مع رواية "يوسف السباعي"  
فرميتها دون أسف.

بحثتُ في التلفاز عن برنامجٍ أو فيلمٍ دون جدوى، وقبل أن أياسَ  
من الترويح عن نفسي بفعلٍ ذي قيمة، رنَّ مُنبهُ الرسائل في  
الموبايل.. وازدادت دقات قلبي..  
أخيراً، امرأة.. جديدة.

برويّة دون عَجَل، وكما يليقُ بكاتِبٍ مخضرمٍ اعتادَ استقبال  
رسائل الفتيات، أشعلتُ سيجارة ثانية ثم قرأت:

. في مقهى العجمي بانتظارك

سأجعلُ من وزيرك وجنودك عبرة لمن يعتبر

"حيّان"

حيّان، وفي حياته كلها، لم يرسل عبر "الماسنجر" حرفاً واحداً  
من قبل..

نتواصل صوتياً عبر الهاتف فأطولُ حديث بيننا لا يتجاوز  
الدقيقة..

. أين أنت؟

. في الغرفة

. جهّز الرقعة والتمتة.. ستُهزم..

.أين أنت؟

.في المقهى

.جهاز الرقعة واطلب الأركيلة.. ستهزأ..

وهكذا يا قوم..

لم يكن من سببٍ في تاريخِ البشريةِ وحاضرها أو مستقبلها  
يستدعي من حيان إرسال رسالة عبر الماسنجر.

لكنه فعل..

هل تعلمون مقدارَ الخيبةِ التي تنهشُ قلبَ الرجلِ حينَ تأتيه  
رسالة من "حنش" وهو ينتظرُ واحدة من ماكينة عسل!

شتمت أمه وأخته وخالته وعمته وجدته وجميع النساءِ في  
سلالتهِ وحين رجعتُ رويداً رويداً إلى طبيعتي كتبت في الرد:

"لا ترحل، جايبك"

ارتديتُ ملابسِي سريعاً..

مشطتُ شعري ولحييتي كيفما اتفق، وإلى مقهى العجمي  
اتجهت.

في طريقي انقلبت مشاعري تجاه صديقي من الكره إلى الود وفي  
سري شكرته لأنه انتشلني من السأم المتربع في تلك الغرفة ذاتِ  
المرأةِ الواحدة.



اتخذتُ مكاني قبالتُه بعد السلام دون أن أنسى رعي بعض  
المفرقاتِ التمهيدية ضمن خطةِ الحربِ النفسية.

أشعلتُ سيجارةً وقلتُ :

.الأرض متسخة قليلاً، إياك أن تقلق يا حبيب، سأمسحها بكِ  
بعد قليل .

هزّ صديقي رأسهُ بأسفٍ مفتعل وقال:

.لطالما كانت الأحلامُ مشكلتك.

أصبح كل شيءٍ جاهزاً للنزال.

توالت النقلاتُ بصمتٍ لا تقطعهُ سوى بقبقة مياه الأراكيل،  
وهمهمة روادِ المقهى.

على غير العادة، لم أجد التركيز المطلوب...

بحركةٍ لا إرادية، جلتُ ببصري في أرجاء الصالة، وحينَ استقرّ على  
الطاولة المجاورة، دون أن أميلَ إلى المبالغة، مرّت تفاصيل تلك  
الحياة، بكلّ جمالها، في لحظة، أمام عيني .

داهمني الارتباكُ وصدقاً، في البداية لم أستوعب التفاصيل..

كنتُ حينَ أسمعُ أحدهم يقولُ

" مرّت تفاصيلُ حياتي بلحظةٍ أمام عيني "

أقولُ في نفسي:

.يا الله، كم يميلُ الإنسانُ إلى المبالغة.

ولأن تجربة الشيء تختلف كلياً عن الاستماع إلى تجربة أحدهم،  
لم أقل في سري:

. يا الله، كم أميلُ إلى المبالغة.

تغيرت ملامح وجهها، ثمة بعض التجاعيد.

اكتسبت بعض الوزن، كانت في الجامعة أنحل.

بعد مرور عشرين عاماً، هذا أمرٌ بدهي.

البريقُ في العينين ما زال على حاله.

وربما، أقول ربما، لهذا السبب، عرفتُها من النظرة الأولى،  
فشهقتُ بصمت.

لا أنكرُ دهشتي من تعابير وجهها حين التقت أعيننا.

كنتُ متأكداً أنها عرفتني أيضاً من النظرة الأولى، وأنا حين أنظرُ  
إلى نفسي في المرأة أحياناً، أكادُ لا أتعرفُ علي..

حممٌ بيضاء كست لحيتي مبكراً، نظارة طبية، وعم داكُن تحت  
العينين..

لكنها ابتسمت بكل ما تحمله امرأة من الحنان والحنين.

سماءُ دمشق مدلهمة ورذاذ يبللنا في الطريق من المدينة الجامعية  
إلى قسم الإعلام.

أصابعُ تتشابكُ في نفق الآداب.

سجائرٌ تشتعلُ وأخرى تنطفئُ في مقهى الصحافة.

رائحة عطرٍ تفوحُ من جسدها مع كل قبلةٍ في تلك السهوب..  
سنواتُ الدراسة تمرّ بنا، ولأنّ للطوائف كلمتها القوية في الوطن،  
أذهبُ في طريق.. وتذهبُ " ناهد " في طريق.  
قبل أن تختفي الابتسامةُ عن شفثيها في هذا المقهى الذي يبعد  
عن سوريا ثلاثة آلاف كيلومتر، انصرفت إلى الحديث مع زوجها  
وطفليها الجالسين إلى جوارها..  
وهكذا مرت تفاصيل تلك الحياة في دمشق، بلحظةٍ من أمام  
عيني..  
يا الله كم يميلُ الإنسان إلى الذكريات.  
حين رجعتُ مساءً إلى غرفتي أجرّ أذيال الهزيمة النكراء التي أذاقني  
إياها حيان، رميتُ الهاتف والمفاتيح على السرير واتجهت إلى  
الحمام.  
لنصف ساعةٍ وأنا تحت ماء "الدوش" أستعيدُ التدايعيات المرعبة  
التي أحاطت بيوم الإجازة الفاجر.  
أنهيتُ مسلسلَ اجترارِ الذكريات ثم اتجهت إلى الثلاجة وأخرجتُ  
زجاجة بيرة.  
اتخذتُ مجلسي أمام التلفاز، أشعلتُ سيجارة قبل أن ألج من  
الهاتف إلى صفحة الفيسبوك.  
طالعني على الفور إشعارُ برسالةٍ جديدة.

أقسمتُ بيني وبين نفسي أن أعتالَ حيانَ إن كانَ مرسلها لکن، من  
حسنِ حظهِ لم تكن منه.

هذه المرّة، كانت من امرأة جديدة..

من بابِ المصادفةِ فقط، كنتُ أعرفها في دمشق...

## لهجة ريفية غامضة

كانت أولُ صدمةٍ لي، فيما يتعلقُ بلهجتي (الساحلية)، حينَ سألتني واحدٌ من الأكرادِ مع بدايةِ دراستي في كلية الإعلام بدمشق :

. لماذا تتكلمُ كرجالِ المخابرات؟

لا أخفيكم سرّاً، ذهشتُ من السؤالِ الفظّ، فأنا قبل الانتقالِ إلى العاصمة كي أكملَ تعليمي، لم تكن عندي درايةٌ بالطريقةِ التي ينظر (شركاؤنا في الوطن) من خلالها إلينا .

أذكرُ يومها أنني أشعلتُ سيجارة بارتباك، ثمّ بعد تنهيدةٍ قلت:

-ما الذي تقصدهُ بسؤالك؟

راوده شيءٌ من الحياءِ تجلّى في إجابته :

. صدقاً لا شيء، فقط اللهجة التي تتحدثُها تشبهُ تلك التي نسمعُ رجالَ الأمن والمخابرات يتحدّثونَ بها وهم يقمعونَ الشعبَ والمجتمع في المسلسلات السورية.

. اللعنة على المسلسلات، وعلى المجتمع .

حاولت أن أتمالكَ أعصابي قدر المستطاع ثمّ قلت :

-صديقي، هل استمعتَ قبلاً إلى الشاعرِ والفيلسوف "أدونيس" وهو يتكلم؟

. بصراحة، لم أستمع، لكن، أدركُ أنه من أعظم مفكري العرب في العصر الحديث، وأعلمُ أنه "السوري" الوحيد الذي رُشِّحَ لنيل جائزة "نوبل" أكثر من مرة .

أخرجتُ من علبة التبغ سيجارة جديدة وأشعلتها ثم أضفت :

-هل أنصتَ يوماً للأديبِ "ممدوح عدوان" وهو يتكلم؟

. صدقاً لم أفعل لكن، أعرفُ أنه من كتبِ مسلسل "الزير سالم" وقد قرأت شيئاً من كتابه حيونة الإنسان .

كانَ وقتُ المحاضرة قد أظف، نهضنا واتجهنا إلى مكانها، وخلال ذلك قلت :

-هل استمعت يوماً إلى الروائي "حيدر حيدر" وهو يتحدث؟

أجاب صديقي بابتسامةٍ صفراء :

. لا، ولكن أعرف أنهم منعوا روايته ( وليمة لأعشاب البحر ) في العديد من البلاد العربية، ولا أريد أن أكذب، لم أقرأها .

أمامَ بابِ المدرج، في الطابق الثالث من قسم الإعلام، توقفنا قليلاً، وحينها وضعت يدي بقوة على كتفه وأضفت :

-هل استمعت للأديب "سعد الله ونوس" وهو يقرأ من إحدى مسرحياته أو يتحدث في حوار؟

. أكد صديقي يومها أنه لم يستمع لصوته مباشرة ولكن سبق أن قرأ مسرحية (الفيل يا صاحب الزمان) وأعجبَ بها كثيراً..

دلفنا إلى مدرّج المحاضرة، وما أن اتخذنا مكانينا، ختمت حديثنا  
الكئيب بالقول :

.صديقي، لو أنك استمعت لواحد من هؤلاء وهو يتحدث، لعرفت  
أنني أتكلّم بلهجةٍ, انْخِذَ القرارُ منذ زمنٍ طويلٍ بمحاربتها، وهناك  
من يروقُ له ذلك، بغباء.





## وهنُ نفسية الأمة

ينحدرُ سكان قرية " أوهامو " من أصولٍ وأنسابٍ وأماكن، لا تمتُّ إلى بعضها بِصلة.

لا أحد يذكرُ على وجه الدقة، كيف وصلَ أجدادهُ إلى القرية، ومتى تمَّ ذلك.

تروي الحكاياتُ أخباراً عن تاجرٍ عبَرَ مصادفةً فيها، قبل مئات السنين، وحين طابَ له العيشُ بين أنهارها وحدائقها الزاهية، بنى منزلاً وتناسل.

كما تحكي القصصُ أنباءً عن قاطع طريقٍ مُطارِد، عندما نأت بهِ المسافاتُ وعثر على الأمانِ بين أرجائها النائية، اشترى أرضاً مما غنمه، ثم بنى بيتاً وتكاثر.

وتتناقلُ الأقاويل ملاحم غامضة، عن رجل دينٍ يجوب الآفاق كي يهدي الناس ويرشدهم إلى الطريق، ما أن حظي بالحفاوة فيها، تزوجَ إحدى نساءها واكتفى بالإنجاب.

هذا كلُّهُ، بالإضافة إلى الأحاديثِ المتواترة عن الجندي الذي تخلى عن حياة الحربِ واستقرَّ في سلامها، والشاعرِ الذي هام عشقاً بياسمينها، والقاتل المتسلسل الذي أدرك، حين وصلَ فجر جريمتهِ العاشرة إلى تخومها الوادعة، أنها المكان المناسبُ لنهاية مسيرته الاحترافية....

في ذلك الزمن، كانَ خير "أوهامو" يكفي الجميع، ويزيد. فلم يكن سكانها بحاجةٍ إلى جماعةٍ ينتسبون إليها كي تحميهم وتدافع عنهم.

الخلافات والمهاترات والأحقادُ كانت "فردية" أما الجرائم إن حدثت، فكانت نادرةً إلى درجة أنها تغدو من قصص الخيال مع مرور الأيام والسنين .

لكن، ولأن المنزل الذي يتسع لخمسة أفراد، دون أن تتم توسعته وتزويده بمقومات الحياة الرئيسية، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتسع لعشرين، وقع المحذور .

نبتت من فضلات الأعداد المتزايدة، لسكان القرية الجميلة، وجشع قلةٍ ممن كان نصيبهم بالخير أكبر بحكم القوة المتزايدة والسلطة، ممارسات، كانوا يسمعون عنها فيما تتناقله الألسن عما يجري ضمن بعض القرى المجاورة ولا يصدقونها لبشاعتها.

هذه الممارسات، غدت واقعاً على أرض "أوهامو" المتعبة، وبات الانتماء لجماعةٍ كبيرة، الحل الوحيد كي يشعر أحدهم بأن ثمة من سيدافع عنه، إذا ما اعتدى عليه واحدٌ أو أكثر من أبناء الجماعات الأخرى .

مع مرور السنين، تحولت "أوهامو" من قريةٍ إلى غابة، البقاء فيها للأقوى، وشهدَ البشرُ فيها تحولاتٍ قلبت المنطق رأساً على عقب .

السرقه حلال، النصب ذكاء، الظلم شجاعة، وعندما تقع جريمة شنعاء بحق أحدهم، وقبل أن يحدد مواطنو "أوهامو" طبيعة

مشاعرهم تجاه القتيل، لا مناص أن يعلموا، إلى أية طائفة كان ينتمي، كي يحزنوا وينوحوا، أو يشمتوا ويسخروا، أو يصمتوا. وذات يومٍ من أيام الحرب الأهلية، بعدَ مرورِ عقدٍ على اندلاعها.. استيقظَ سكانُ قرية "أوهامو" على حدثٍ جلل. أجهضت الحوامل، ارتعشَ الأطفال، انقطعَ الطمث عن الفتيات، وانسكبَ الشيبُ فوق رؤوس الفتيان، في وقتٍ واحد. وحدهم كهول أوهامو، كانوا يراقبون الموكبَ العجيبَ بعيونٍ داكنةٍ وشفاهٍ تتمتم:

.الله على كلِّ شيءٍ قدير .

أكثرُ من ألفِ جثةٍ تتجهُ إلى القرية، قادمة من مقبرة الشهداء . شهيدٌ بلا رأس، رفيقه أشلاء يزحف إلى جوارها شهيدٌ بنصفِ علوي فقط، شهيد بلا يد، وآخر بلا يدين، شهيدٌ بجمجمة ثقبته رصاصتان، شهيدٌ بساق واحدة، وآخر ببطن مفتوح لا أعضاء فيه..

الأم المفجوعة منذ زمنٍ تعرفت على ابنها لكن لم تقترب منه، الأخت المنكوبة بمقتل شقيقها أيقنت أنه هو لكنها تجمدت مكانها، الأب المكلوم بفلذة كبده لم يغفل عن الشامة التي في رقبته، لكنه خرَّ على ركبتيه.

كم من الليالي انقضت في دمعٍ وقهرٍ على الفراق والقلوبُ تواقاة للحظة لقاء واحدة، لكنها عندما أتاحت، رفضها الجميع.

حين توقفَ الموكبُ في ساحة القرية، لم يجرؤ سكان أوهامو على نطق حرفٍ واحد، فالحديثُ مع الأموات، له هيئته.

وحدها "أم سمير"، بأعوامها التسعين من تقدم متكئة على عصاها التي لا تشق سوى الصمت وقالت:

.قدمتم ما لا ثمن له، فماذا تريدون أن نقدم لكم؟

وكانما باتفاقٍ ضمني، أجابت الجثة التي بدون رأس نيابة عن رفاق السلاح:

.جننا فقط كي نطمئن عليكم.

حينها، ورغماً عنها، ابتسمت "أم سمير" وكانَ في فمها قد تبقى ضرس وثلاثة أسنان، ثم قالت :

.يا أبنائي، عودوا سالمين إلى قبوركم إن كنتم تهتمون حقاً بمصير آبائكم وأخوتكم، نسائكم وأهلكم.

أنتم بسؤالكم عن أحوالهم، توهنون، (نفسية الأمة).

ولا نريدُ أن نُفجعَ بكم مرتين.

## فرق توقيت

قرب مرسى القوارب الصغيرة، على ضفاف البحيرة التي تشغل مكان القلب في المدينة، كنت وللمرة الألف، أنظر إلى جوقه الألوان التي تشهدها السماء بين الغروب وانسداد المساء.

كل يوم، وبعد نهار مضمّن من العمل، يمتدّ من السابعة صباحاً حتى الخامسة عصرًا، ألملم بعضي مثل جندي أنهكته المعركة، مزوداً بالتبغ، أقصد هذا المكان، لكن، ليس وحدي.

عائلات يبني أطفالها منازل الرمال بلا هموم، مراهقون ذكور يكتشفون أصواتهم واندفاع الدماء المتقدمة، مراهقات يتباهين بالنهوض المتكورة حديثاً والسجائر الإلكترونية التي ينفثن سحب دخانها بفخر، صيادون يجهزون الشباك والأقفاص قبيل رحلة المساء المعتادة، ومئات الأمنيات تطفو فوقنا كالأشباح الهائمة.

عندما يكتبون ضمن خانة العمر في الوثائق التي تخصك رقم "40"، فهذا يعني أنك أصبحت في الأربعين !

ثمة رياح لا يمكن لشراعك أن يتجاهلها تهب من أفق هذا العدد.

حقيقة غير قابلة للنقاش تقول بفحيح:

. أنت الآن، شخص رزين، والفتاة التي جلست قبل قليل وحدها على المقعد المجاور، قرب المرسى، الفتاة التي يستحيل أن تكون جاوزت الثامنة عشرة، وتركت شعرها الأسود الطويل بلا عنان كي

يلهبَ بسياطهِ ظهره، الفتاة التي ترتدي كنزة بيضاء مكتوب فوق صدرها بالإنجليزية:

" How you doin"

الفتاة التي رسمت بالكحلِ خنجراً ارتوى نصله من شرايين قلبك، ووضعت ساقاً على ساقٍ ثم راحت تحركُ أصابعَ قدمها المستريحة بغنج ودلال، فتراها أنت قطعة حلوى كونك "دون كيشوت" لكن من نوعٍ آخر..

نعم يا صديقي، حقيقة غير قابلة للنقاش تقولُ بفحيح:

.الفتاة التي تطالعُ هاتفها المحمول في المقعد المجاور، لا يمكن أن تميلَ إليك، لأن بينكما، أكثر من 20 عاماً.

بغضَ النظر عن كونك "متزوجاً" و"أباً" و"محارباً" بالكلمات في حربٍ تخسرُ من معاركها أكثر مما تكسبه، وبغضَ النظر عن مظاهرات الشيبِ التي تهدد عرشَ لحيتك الكثيفة، عشرون عاماً ليست بالرقم القليل.

لكن، مهلاً، هل نظرت باتجاهي أكثر من مرة، ورأيتُ في كلِّ مرة، طيف ابتسامة.

ها نحنُ ذا من جديد!

عليها اللعنة، لو أنها بقيت مبحلة في هاتفها دون أن ترمي بتلك النظرات لكان الأمرُ أهون!

حينها، لن تأكلني الحيرة، ولن يستنزفَ ما تبقى من كبريائي مع النساءِ التردد!

حينها، لن أفكر مجرد تفكير بالاقترابِ منها ومحاولة "فتح" الحديث!

أما مع هذه النظرات، أنا مجبرٌ على التفكير بذلك. ليس هذا وحسب، بدأ الخيالُ يصولُ ويجول..

هي وأنا على ذات السرير ..

فتاة في الثامنة عشرة وأنا، على ذات السرير !

يا إله العرش، متى حدث هذا آخر مرة؟

لحظة، كي أشعل سيجارة ..

نعم، لقد حدث هذا ذات يوم، عندما كنتُ أنا في العشرين..

من قالَ للرفيق " شارل أزنافور " أن ينشدَ "البوهيمية" الآن !

وماذا سأقولُ لها إن أنا تجرأت على الاقتراب..

لنكن صريحين مع بعضنا يا أنا، ما الذي تجيده من المواضيع التي قد تهمها؟

هل ستحدثها كيف أصبح " أنطونيو سكارميتا " "ساعي بريد لنيرودا"؟

أم عن "تفاصيل ماركيز وقصة الموت المعلن"! أم عن "امتداح خالة يوسا" وكيف اغتال الأمريكان عمّ صاحبة "بيت الأرواح"!

لعلك ستناقش وإياها كيف "لم يكن، بعدَ سنوات، أمام الكولونيل "أورليانو بوينديا" وهو يواجه فصيلة الإعدام إلا أن يتذكر عصر ذلك اليوم حين اصطحبه والده، كي يرى الثلج أول مرة، حينها كانَ العالم حديث النشوء، حتى أن كثيراً من الأشياء كانت بلا أسماء."

أي أحمقٍ أنت!

ما بينكما أكثر من فرق عمر، إنه فرق توقيت.

الزمن يجري، والتردد يفوز، لن أعرض كبريائي للمسّ.

حين كنتُ مراهقاً لم أقبل الرفض من امرأة فكيف سأقبله الآن.

أشعلتُ سيجارة جديدة نفثت دخانها بهدوء

وكم لا يبالي، رحت أراقبها بالطرف، وأحسبُ أنها مثلي، كانت تراقبني خفية..

كان المساء يمضي قدماً، والأمنيات تطفو فوقنا كالأشباح الهائمة.



## لا شيء عندي كي أضيفه

الخميس 3 شباط

العاشرة صباحاً

ضغطتُ على الرابط الإلكتروني الذي أرسلته السكرتيرة، فانبثقت من شاشة الكومبيوتر شاشةٌ صغيرة.

هذا الكلامُ كانَ كافياً ليصيب نصف سكان الكوكبِ بالجنونِ لو أكّدت أنه حقيقي قبل خمسين عاماً فقط، النصف الثاني، سيتهمك أنت بالجنون.

بنقرة خفيفة على السهم الأخضر أسفل يمين الشاشة الصغيرة، تمدّدت وأصبحت أكبر، ثمّ أطلت منها تسعة وجوه مبتسمة بتكلف.

بدأ الاجتماعُ "أون لاين."

تحدث مدير المؤسسة باديء الأمر، ثم قدمت بروفيشورة من جامعة أمريكية مداخلة حول الابتكار ووسائل التواصل الاجتماعي التي تشهد ثورة حقيقية في غياب التواصل الاجتماعي، أعقبتها أستاذة جامعية من فرنسا بحديثٍ مستفيض عن أهم سماتِ وأهدافِ الاستدامة في عالمٍ من أهم سماتِ قاطنيه، الفناء.

اقتصرت مداخلة المتواضعة خلال الاجتماع على العبثية التي يعيشها الناس دون وعيهم لحسن الحظ إذ أنهم لو أمعنوا التفكير

فيها لكانت القيامة الآن. ثم عرّجت بشرح موجز على استحالة وجود "إعلامٍ مستقل" أو "حر" لأن من يملك المال والسلطة، يملكك إن كنت تدري أو تمثّل الجهل.

هكذا سارت وقائع الاجتماع والوجوه المبتسمة من دول عدة تنتقل عبر المربعات التي تقسم الشاشة بما يتوافق مع دور كل منها.

لكن مربعاً صغيراً أعلى اليسار كان ما لفت انتباهي.

مربعٌ صغيرٌ جداً يكادُ لا يرى، بنقرةٍ خفيفةٍ عليه، أصبحتُ داخله. كان "مجاهد" متخذاً وضعية القرفصاء على مسافةٍ نصف مترٍ من "بوتية الغلول" وفي يده واحدٌ من صنفها.

بإبهامٍ وسبابيةٍ مشدودين على الكرة الزجاجية الصغيرة، وبعين مغمضة بينما تحدق الأخرى بالهدف كعين صقر، أطلق القذيفة باتجاه الهدف، لكن أخطأه.

قال وهو ينتصبُ واقفاً:

"كس أختو لها الحكي ما أصعبو"

رحنا "أيهم" وأنا، نسخرُ من محاولته الفاشلة.

كانت "الرويسة" في العطلة الانتصافية بين الفصلين الدراسيين مسرحاً لبطولاتٍ مجيدةٍ وخالدة..

تعقبُ من الدروب بين أشجار الزيتون رائحةً محملةً بأمطار  
الأمس، وعلى التخوم المجاورة تتكئُ أصنافُ ساحرة من النباتات  
والزهور البرية .

حين فرغنا من معركة " الكرات الزجاجية الملونة " بدأت معركة  
لا تقلّ عنها ضراوة في كرة القدم .

زيتونتان هنا وزيتونتان هناك مرميا كل فريق، وكما يعرفُ النحل  
طريقه يعرف كل واحد منا إلى أي فريقٍ ينتمي.

بطبيعة الحال، لا شيء يستدعي العجلة، كان كل شيء يتهادى  
على مهل كما لو أن الزمان ينتشي مخموراً.

أزفَ العصر وفي السماء تعبر السحب الخمرية رويداً رويداً.

"ريحنا أم خسرتنا؟"

يسأل "ايهم "

"ليس مهماً"

أجيبُ ونحنُ في طريقنا إلى الزيتون المحيط بخزان مياه بسنادا  
الكبير..

العالمُ الذي يكونُ فيه لا فرق بين الربح والخسارة، هو العالمُ  
الوحيد الذي يستحقُّ أن نعيش فيه.

أشعلُ النار ريثما يحضرُ صديقي من منزله القريب، علبة التبغ  
وإبريقاً ملقماً بالسكر والشاي.

تُحلّق في الضوء المُحتضر للغروب، سنونوات حائرة، وألسنة  
اللهبِ تطردُ لسعاتِ البرد الخفيفة.

بعود متقدّ الرأس، نشعلُ سيجارتينا ونسكبُ الشاي في جوفينا  
بعد أن نعبّ تبغٍ مطلّع الصبا، ذاك الذي تُمضي بقية عمرك باحثاً  
عن طعمٍ يشبهه، دون جدوى.

العودُ ما زال متقدماً في يدي وصديقي ينادي باسمي..

يكادُ يحرقني، وصديقي ينادي باسمي

يكادُ اللهب يصلُ إلى يدي، وصديقي ينادي باسمي

فجأة انتبه

ينادي المدير باسمي وحين استجيب، يقولُ بلطفٍ مصطنع:

"هل لديك أي شيء تضيفه قبل نهاية الاجتماع أستاذ؟"

"أبداً"

أجيب بذات اللطفِ المبتذل..

لا شيء عندي كي أضيفه

## غرفة صغيرة على السطح

ثمّة فرقٌ كبيرٌ بين المنزل الذي تبنيه فوق قطعة أرضٍ تمتلكها .  
رغم مساحتها المحدودة . والشقة التي تشتريها أو تستأجرها ضمن  
عمارة سكنية، حتى وإن كانت واسعة.

فرقٌ يشبه شيئاً ما الاختلاف بين أغنية فيروز..

"يا ريت نحنا سهرانين

وعتم وتلج يغطي حقول

وأنا وأنتي منسيين

وخبيني بقلبي ع طول"

وبين أغنية من أغاني هذا الزمن..

أو لعلّه يشبه الفرق بين الأمس البعيد والحاضر.

لسبب ما، يبدو الماضي أجمل رغم الكوارث التي كان يحملها بين  
طياته عندما كان حاضراً.

الذاكرة أعظم مخرج سينمائي في التاريخ، تمسح من الأحداث تلك  
الندوب التي تحيط بها وتبقيها نقية كما لو كانت مثالية، أو قاب  
قوسين.

كانت أول إجازة لي بعد التحاق بالجامعة في العاصمة دمشق.

رجعتُ في كانون الأول عام 2001 إلى بيتنا في قرية بسنادا بمدينة اللاذقية بعد شهرين ونصفٍ من الغياب، وقبلَ أن اجتاز نصفَ الطريقِ داخل كرمِ الزيتونِ المتاخِمِ له، رميت الحقيبةَ أرضاً ووقفتُ مشدوهاً.

حين غادرت، كانَ سطحُ بيتنا يتألفُ من الأرضيةِ الإسمنتيةِ والأعمدة التي تتفرعُ من رؤوسها تلكَ الأسياخِ الحديديةِ الحمقاء كما لو كانت تيجان ملوكٍ مخلوعة، لكني الآن أرى في الزاوية الشرقية من السطح.. غرفة .

أحوالنا المادية لم تكن تسمحُ ببناء سورٍ صغيرٍ للدرجِ الصاعدِ إلى السطح فمن أين لنا أن نبني غرفة؟

ولمَ لم يخبرني أحدٌ ببنائها!

يا لتلكَ اللفظة التي دفعتني لاستكشافِ القفزة التاريخية في مشوار أسرتنا!

قبل ثلاثة أعوامٍ فقط كنا نقطنُ جميعاً داخلَ غرفةٍ واليوم أصبح عندنا فوق سطحِ البيت، غرفة.

تملّصت سريعاً من العناق والقبل وانطلقت إلى السطح أكادُ لا أصدقُ ما رأته عيناى..

لقد فعلها "مجد".

عمل أخي مع صديقه في نقل موادِ البناء طيلة الفترة الماضية واستطاعَ أن يدخر ثمن "البلوكات" وسقف التوتياء وبمساعدة الخال بدر "أبو محمد" تمكّن من إحضار باب خشبي " الفروقات

البسيطة بين مقاساته ومقاسات "الملاين" تحصيل حاصل،  
وشبّاكان خشبيان يعودان إلى الحقبة البرونزية لمملكة أوغاريت،  
وفوق هذا وذاك، سدّد أجرة عامل البناء.

.تنقصها لمساتي يا عزيزي

قلتُ وأنا ألفتُ سيجارة تبغٍ عربي وأطالعُ أرجاءَ الغرفةِ ذات الأمتار  
الأربعة مضروبة بمثلها.

.أتحفنا

قال أخي وهو يشعلُ سيجارتي ثمّ واحدة لنفسه.

.هنا، أمام الجدار الشمالي، ستكونُ المكتبة.

قلتُ كما لو كنتُ خير "ديكور" عتيق

.عبقري.. الصلا ع النبي

عقبَ مجد.

عندما نقلنا مكتبة أبي الخشبية التي تتسعُ لمئاتِ الكتبِ وحدنا  
صاعدين بها الدرجَ ثم أودعناها مستقرّها، ابتسمتُ بمكرٍ وقلتُ  
أشهر مصطلحٍ يبرز تفوّق العقل السوري على بقية عقول أبناء  
الأمم:

. "ما قلتك"

باقي التفاصيل كانت هامشية

السريان الخشبيان اللذان كانا في غرفتنا التحتية أصبحا هنا، شبكة الصيد عُلقت على الحائط، صور "سبيل كان" بطبيعة الحال، طاولة خشبية لا أعرف من أي عصرٍ أو زمن اتخذت مكانها بين السريين.

لم يكن ذلك المساء قد حلَّ إلا وغدا كلَّ شيءٍ جاهزاً للنوم فيها. أعرفُ أنّ ما سأقوله يبدو ضرباً من الخيال لكن، في ذلك الزمن كان من النادر جداً أن تقطع الكهرباء.

المدفأة ذات الوشائع المتقدمة كفيلة رغم الهواء المتسرب من الشقوق بين الحيطان والشباكين والباب أن تجعل غرفتنا الصغيرة دافئة.

في أقل من إحدى عشرة دقيقة، وصلت درجة حرارة الماء في الإبريق إلى الغليان وأصبحت الممتة جاهزة.

استلقى كل واحد منّا فوق سريره ورحنا نراقبُ عبر زجاج النافذة مرح البرق في مساءٍ كانون الأول وما هي إلا سيجارات معدودات حتى راح يتساقط المطر.

.لمن لديه مكان دافئ، المطرُ نعمة لا تُقدَّر بثمن.

كيف وهذا المكان مسقوفٌ بألواح التوتياء!

لا أدري من منكم استمع إلى تلك السمفونية التي تعزفها قطرات الماء وهي تتراقصُ فوق الألواح بينما يعبّ التبغ ويشربُ ما يريد، لكن، أعتقد أنه لن ينساه طيلة حياته.



كل شيءٍ من ذلك اختفى كما لو أنه لم يكن ..  
أكادُ لا أصدق ..

كيف يمكنُ ألا تعود تلك الغرفة موجودة، وكيف يمكن لذلك  
المنزل الذي راقبناه وهو ينمو جداراً جداراً ألا يعود قائماً!!  
عشرون عاماً مضت مثل رحلة بحرية، لكن، في قلب عاصفة.



## القصة المجونية

كان مساءً مُرعباً من السأم.

غرفتي التي لا أنيسَ لي فيها سوى الكتبِ والتلفازِ والسجائر، باتت  
تكرهني لطولِ مقامي فيها دون أن أخرجَ سوى للعمل.  
لا أدري أيّهم! لكن، في ذلك المساء، سمعتُ حائطاً من حيطانها  
يقولُ للبقية:

لم يسكن بيننا بشريُّ أكثرَ مدعاةً للكآبة من هذا.

رغمًا عني، رحتُ أفكّرُ بكلامه، واكتشفتُ أنه على حق.  
قلتُ لنفسي:

. سأنكحُ امرأة.

على تخومِ الضاحيةِ الغربيةِ من المدينة، توجدُ حانةٌ رائعةٌ تضمُّ  
نخبةً من أجملِ الفتياتِ العربياتِ والأجنبياتِ.

في الأشهرِ الأولى من الغربيةِ . قبل أربعة عشر عاماً . كنتُ أتردّدُ إليها  
بين الحينِ والآخر، ثم انقطعتُ عن زيارتها لأسبابٍ أيديولوجيةٍ  
وعاطفيةٍ وفكريةٍ ونفسيةٍ وحياتيةٍ و.. دينيةٍ.

كنتُ أعتقدُ أنني في العزلةِ سأعثرُ على الرب.

الربُّ أرسلَ عوضاً عنه باقةً منوعةً من الشياطين.

وبينما كنتُ أسرّحُ شعري أمام المرأة بعد أن ارتديتُ ملابسني  
وحذائي ورششتُ العطرَ فوقَ معصمي وعنقي قلتُ أيضاً:  
.تسعون يوماً من الصيامِ عن النساءِ كثير.. كثير جداً، أكادُ أموت.  
كمواطنٍ سوري مُغترب، كانَ أوّل شيءٍ فعلتهُ بعد أن حصلتُ على  
شهادةِ السّياقةِ أن بحثتُ عن سيارةِ مارسيدس قديمةٍ كي أشتريها  
رغم جميعِ النصائحِ التي كانَ مفادها:  
.إيّاكَ أن تفعل.

نسيتُ أن أخبركم، أنتمي إلى عائلةٍ تخوضُ منذ الانفجارِ العظيمِ  
حرباً ضروساً في الجحيمِ القابعِ اجتماعياً بينَ الطبقتينِ الوسطى  
والفقيرة.

وفي بلادِ الفسادِ العربي الاشتراكي الموحد والدفاع عنه، لم أجرؤ  
يوماً على التفكيرِ بامتلاكِ (سوزوكي) بثلاثةِ دواليب، فما بالكم  
بمارسيدس.

الأمرُ مختلفٌ في هذه البلاد، السيّارة هنا من أساسياتِ الحياةِ  
والعمل، أما أسعارها فلا تُصدّق، وقد تُصدّمُ في بدايةِ اغترابك كما  
حدثَ معي حين تسمعُ بسعرِ سيارةِ مارسيدس قديمة، وقد يسيلُ  
لعابك، تماماً كما حدثَ معي.

ولأنّ لكلِّ شيءٍ ضريبته، تكونُ السيّارة القديمة كثيرة الأعطالِ  
والأعباءِ وهكذا تكتشفُ بعد عامٍ أو عامين بالأكثر أنّه يتحتّمُ  
عليك التخلّص منها واقتناء سيارةٍ اقتصاديةٍ بقرضٍ معقولٍ من

المصرفِ كي لا تمضي أيامك في المناطقِ الصناعية.. تماماً كما حدثَ معي.

المهم.. في تلكَ الأيام، كانت المارسيديس ما زالت ملكي والملكُ لله، وهي على الرغمِ من قِدَمِها إلا أنّها سيارة رائعةٌ قولاً واحداً. حينَ وصلتُ الحانةَ بعد غيابٍ طويلٍ لاحظتُ أن تغييراً طرأَ عليها. مسرحٌ صغيرٌ تم نصبُه في الزاويةِ الشرقيةِ من الصالة، أمّا (البار)، فبقيَ على حاله، وأمامه تراصفت الطاولاتُ المُستديرة والكراسي..

كلّ شيءٍ في ذلكَ المكان كان يخضعُ لقانونِ الإنارةِ الخافتة، تلكَ الإنارة التي تجعلُ التبغَ أشهى والخمرَ أطيّب.. والنساءَ أذّ.

اتخذتُ مكاني إلى البارِ وطلبتُ كأساً من (الهاينكن) التي يقدمونها مع الزيتون وقطع الجبنِ الصغيرة، وبعدَ رشفةٍ من البيرة الباردة، أشعلتُ سيجارة.

كانت جارتِي فتاة تقولُ ملامحها دونَ مواردٍ إنّها من روسيا العظمى، وكانت ترتدي تنورة قصيرة وكنزة تغطّي القسمَ الأوسط من نهديها أمّا ما تبقى من النهدينِ الرجراجين والبطنِ والكتفين والظهر فقد كان أرضاً مكشوفة للريح والغيم والمطر والأخيلة.

.لماذا أعشقُ بائعاتِ الهوى؟

الإجابة عن هذا السؤال تحتاجُ مُجلدًا لكثني سأحاولُ الإيجاز..

تتميزُ بائعاتِ الهوى بالمناخِ المعتدلِ والتربةِ الخصبة... عفوًا..

أعشقهنّ لأنهنّ شهيات ولا يطلبنّ شيئاً سوى النقود. وبكلّ بساطة، ما أن يتمّ الأمر، تغتسلُ قليلاً وبعدَ ان تبتسمَ لك، تلملمُ أشياءها وترحل دونَ أن تطالبك بدفع شيء سوى المال.

كانت التي تطلقُ رشاً ودراكاً تضعُ ساقاً على ساقٍ وتحملُ بيدها سيجارة رقيقة.

على كُرسيتها الدوّارِ منزوع الساعدين، كانت تدورُ ببطءٍ نصفِ دورةٍ ثمّ تعودُ في الاتجاهِ المعاكس.

بين الحين والآخر، تتعمّدُ فتحَ ساقِها قليلاً كي أرى شفرتي مهبلها الوردي وقد توسطهما لباسها الداخلي الأسود بطريقة قاسية لكن.. مثيرة.

قصّتنا مع مهبل المرأة قديمة أيّها السادة، وهو إن تشابهَ عندَ جميع النساءِ إلا أنّ لكلِّ واحدٍ رائحتهُ وطعمهُ ومناخهُ وتقلباتهُ ومزاجه.

لهذا ما أن لمحتُ السهبَ البديعَ حتى بدأتُ أعوي، والمرأة يروقُ لها عواءُ الرجلِ إذ تستطيعُ سماعه من على بعدِ عشرات الفراسخ، فما بالك إن كانت جالسةً قربه.

كنتُ قد خصّصتُ ألفَ درهمٍ لهذهِ الليلة وهو مبلغٌ يُعادلُ ربعَ مُرتبي الشهري، ثمّ عقدتُ العزمَ على مضاجعة امرأة، ودون شكّ كانت جارتِي أجمل امرأة في الحانة بشعرها الذهبي ووجهها الشهواني وجسدها العذب.

فجأة، من غامض علمه، وبينما كنتُ على وشكِ توقيعِ مذكرة التفاهيم، بعد أن سمحت لي جارتِي خلال الفترة المنصرمة بتلمسِ جسدها وعقص حلمتها ونيلِ بعضِ القبلِ بشكلٍ خاطف، ولجت إلى الحانةِ قنبلةً ضوئيةً اضطرتني إلى وضعِ يدي أمام وجهي كي أرى بوضوح.

لم تكن تلك الصاعقة سوى راقصةٍ عربيةٍ ما أن لمحتُ عجيزتها وهي تصعدُ المسرحَ حتّى أصابني البلهُ ففتحتُ ثغري وأرخيتُ حنكي كما يُقال وكدتُ أقعُ لكنني .والحمد لله . بقيتُ صامداً لأنني بالفطرة، من بلدِ الصمودِ والتصدي.

كانت عجيزة المرمورة مزيجاً من مؤخرة جينفر لوبيز وكيم كارديشيان وعندما تهتُرُ ينتابُ المرءَ شعورٌ كما لو أنّ الكوكبَ بأسره يُلبّي النداء.

ساهمَ الفستانُ المكشوفُ عن ثلاثة أرباعِ ثدييها وخمسٍ وتسعين في المائةِ من جسدها بكركيةٍ كلِّ شي حتى أنني نسيتُ المرأةَ الشقراء التي أدركت ما ألمَّ بي فعلت بغريزتها أن نقودي لن تكونَ من نصيبها اليوم.

طلبتُ من النادلِ كأساً ثانية ووضعتُ تركيزي كلّهُ مع الراقصةِ مشعلاً سيجارةً بطيزِ السيجارةِ حتّى حسبتُ أن الساحرة انتبهت لولهي وانبهاري فابتسمت لي.

في البداية ظننتُ الأمرَ خدعةً بصرية، لكنّ الراقصة ابتسمت بالفعل أكثر من مرّةٍ وحين رفعتُ يدي ملوحاً لها أرسلت في الهواء قبلة حطت في قلبي فأدركت أن الحقَّ ظهر.

قلت لنفسي:

. لن أقترَبَ منها لأنني سأعرِّضُ نفسي لموقفٍ سخيفٍ، قد يظنُّ  
حرَّاسُ المكانِ أنني مخمورٌ يريدُ التحرشَ بها، وقد أتلقى الضربَ  
دونَ أن تكونَ لي القدرة على الرد.

وجدتها.

بيدي، وكما لوَّحْتُ للمرمورةِ قبل قليل، أشرتُ إليها كما يشيُرُ  
الشاري وهو يريدُ القولَ:

. بَكم؟

ابتسمت.. وبينما كانت تتلوَّى على المسرحِ رفعت أربعة أصابع.

أربعة آلاف درهم.

هذه المرأة تريدُ راتبَ شهرٍ كامل.

وقعتُ في حيرةٍ من أمري، أنا جائعٌ جداً والراقصةُ سكنت رأسي  
فلم أعد أفنَعُ بغيرها إذ كانت تبدو كالجوهرة الثمينة، أضف إلى  
ذلك أنها ترقص، ومضاجعة امرأة ترقصُ بمهارةٍ أمرٌ لا يحدثُ مع  
أمثالي كلَّ يومٍ ولا كلَّ شهرٍ ولا كل عام.... ولا كلَّ عقد.

بدأتُ عملية الحسابِ بسرعةِ البرق.

خلالَ عزلي الماضية، كانَ مصروفي في أدنى درجاته، بعدَ أن  
أضاجعها أعودُ إلى صومٍ عن النساءِ كالذي نفَّذتهُ سابقاً ممَّا  
يُمكِّنني من تدبيرِ أمري بما يبقى معي من مالٍ يكفي للتبغِ والطعام.



قلّبتُ الأفكارَ أكثرَ من مرّةٍ وكانت عيوننا تقدحُ الشرر، ثم اتخذتُ  
القرار.

رفعتُ يدي التي تحملُ السيجارة وأدرتُ ظاهرها باتجاهِ المرأةِ  
اللعيّنة ونصبتُ إبهامي كشرّاع.

ما أن انتهت وصلة الراقصة حتى دفعتُ ثمنَ الخمرِ وخرجتُ في  
إثرها وقد كانَ يرافقها حارسٌ من حراسِ الحانة.

عندما اقتربتُ أوَمَّأتُ للحارسِ برأسها فتركنا وحدنا ووقفَ ليسَ  
بعيداً جداً.

قلتُ:

. طلبتِ مبلغاً كبيراً.

ضحكت بخلاعة وقالت:

. لن تندم.

غَطَّت جسدَها بعباءةٍ سوداءٍ وقالت:

. اتبعني.

خرجنا من الحانة واتجهنا إلى الفندقِ المُحاذي لها. ما أن ولجنا  
البهو، حتى اتجهنا يساراً نحو مصعدٍ صغيرٍ دخلناه وطلبتِ  
الطابقَ الثاني.

حين غدونا أمامَ البابِ أخرجت من جيبِ العباءةِ بطاقةً زرقاءَ  
فتحتُه بها، وما أن أصبحنا داخلَ الغرفةِ أحكمت إغلاقه.

تَأَمَّلْتُ وَجْهَهَا مَلِيًّا فَأَدْرَكْتُ أَنَّهَا أَجْمَلُ امْرَأَةٍ قَابَلْتُهَا يَوْمًا.

قالت:

.تَصَرَّفَ عَلَى سَجِيَّتِكَ، سَادَخَلُ الْحَمَّامِ.

كانت غرفتها واسعة، في منتصفها سريرٌ مزدوج، على مسافةٍ مترين منه ينتصبُ فوقَ طاولةٍ زجاجيةٍ تلفازٌ بشاشةٍ عملاقة، عن يساره أريكةٌ وثيرةٌ تتقدّمها طاولةٌ خشبيةٌ عليها زجاجةٌ كونيّاك فاخرةٌ وثلاثُ منافضٍ رماد.

رمىْتُ جسدي على الأريكةِ ثم أخرجتُ علبةَ التبغِ وأشعلتُ سيجارةً وفكّرتُ:

.كم أنا تافهٌ كي أدفعَ لراقصةٍ راتبَ شهرٍ كاملٍ مُقابلَ ليلةٍ واحدةٍ؟  
من حسنِ حظي، لم يطل التفكير.

سمعتُ صوتَ بابِ الحمامِ يُفتح، وما هي إلا ثوانٍ معدوداتٍ حتّى خرجت المرأةُ عاريةً وقطراتٌ من الماءِ تنقُطُ من خصلاتِ شعرها.

كان صدرها فوقَ التوقعاتِ تُزيّنهُ حلّمتانِ منتصبتانِ كزمرديّين لكن ورديتين. أمّا بطنها فكان كما قالَ النابغة (لطيفٌ طيّهُ) والخصرُ، ما أحلاه كيف يَميسُ بغنّجٍ وقد كان شعرُ عانتها منزوعاً بالليزرٍ كما خمّنت لأن منسوبِ النعومةِ في أعلى درجاته.

وما أن حطَّ ناظري على أصابعِ قدميها حتى أوشكت على البكاء من الأناقة والجمال فقلتُ وأنا أقف:

. لو كنتُ صاحبَ جاهٍ لأعطيتكِ بدلَ الأربعة آلاف.. خمسة.

حاولتُ أن أحضنها لكنّها صدّتني بهدوءٍ وأشارت بأصبعين:

. النقودُ أولاً.

أنقدتها مالها واندفعتُ كثورٍ لأروي غليلي لكنّها احتوتني  
واستدرجتني إلى الأريكة ثم قالت:

. ما رأيك بكأس؟

عدتُ إلى أرضِ الواقعِ وقرّرتُ أن أجاريها فتصنّعتُ الهدوءَ  
وأسندتُ ظهري إلى الأريكة ثم أشعلتُ سيجارة وقلت:

. (واي ناط؟).

نهضت المرأة كي تجلب كأسين من مطبخها فرأيتُ مؤخّرتها  
العارية ترتج ذات اليمين، وذات الشمال، فاندفعتُ كذئبٍ  
وأمسكتها من طرفيها ثم غرزت أسناني في لحمها البض.

صرخت الراقصة بأعلى صوتها وأفلتت مني.

نظرت إليّ لا نظرة ظبي على وشك أن يتمّ افتراسه بل نظرة لبؤةٍ  
على وشك الانقضاض وابتسمت بمكر.

عدتُ إلى مكاني وعادت قربي بعد أن أحضرت الكأسين، ثم سكبت  
لكلينا ورحنا نشربُ بصمت.

حين اقتربتُ منها للمرة الثانية قالت:

. يمكنك أن تضربَ إن شئت.

بدأ معالجُ دماغي المتواضع بتحليلِ المعلومات لكنَّ تلافيفهُ منذ  
زمنٍ بعيدٍ شبه مسطّحة فنظرتُ إليها باستغراب. حين رأت الحيرة  
باديةً على مُحيائي قالت:

.هل أنتَ كسكوسُ جبان؟

استفرتني العاهرة.

حافظتُ على هدوئي، وأخبرتها أنّ الأمرَ لا علاقة له بالشجاعة  
حين يتعلّق بضربِ النساءِ بل بالحيونة.

ضحكت حتى أوشكت أن تبولَ على نفسها، لا بل إنني لمحتُ  
قطرتين أو ثلاث قطرات يخرجن من فتحةٍ مهبلها ثم حين هدأت  
قالت:

.أعجبتني المحاضرة. برافو.

.ماذا تقصدين؟

.أقصد أنك كسكوسُ جبان.

هذه المرّة قالتها بجديّةٍ فما كان مَنّي إلا أن صفعتها على خدّها  
صفعة خشيتُ من صوتها أن تطلبَ الشرطة.

حين نظرت إليّ بعدها انقلبت أساريها ورأيتُ شيطانَ الشهوة  
الذي كان مستتراً بادياً في تلك العينين وقالت:

.هذا أفضل.

.ما هو الأفضل يا ابنة الكلب؟

سحبت من علبة تبغها الرقيقة لفافة أشعلتها وبعد أن نفخت  
دخانها باعدت ساقها وبدأت تداعب بظرها.

حين هممتُ بالهجوم، وضعت قدمها على صدري ودفعتني  
بهدهوءٍ ثم قالت:

. يمكنك أن تضرب أيضاً إن شئت، لقد دفعت ثمن ذلك نقداً،  
أضف إلى ذلك، أنت لست كسكوساً جبان.

أنا أعرف نفسي جيداً، ولم أكن في يومٍ من الأيام شخصاً همجياً  
أو سادياً، لكنني وأقسم على ذلك، لم أفهم كيف في كل مرة فعلت  
ذلك زادَ شوقي فرأيتها أشهى بألف مرة.

كنتُ أعتقدُ حين دخلتُ هذه الغرفة أنني وطري مرتين أو ثلاثة  
ثم أمضي مع مجيء الصباح كما اعتدتُ أن أفعل مع غيرها في  
سالف الزمان لكن، وبعد مُضي ثلاث ساعات بصحبة الجنينة ذات  
العجيزة السماوية.. لم أبلغ نشوتي ولا مرة.

كانت تستفزني كي أقوم بأمورٍ لم أتخيل نفسي أفعلها لكن بعد  
تجربتها والنظرات التي كانت ترمقني بها، تغيرت كل أفكارها عنها.

في تلك الأمسية عبرتُ تجربة لم أحظ بمثلها قط، واكتشفتُ أنني  
استمتعتُ باستعباد هذه السيدة لأنها مُستمتعة بذلك.

سمعتُ منها كلاماً فاحشاً لم أسمعهُ من امرأةٍ أخرى وسمعتُ  
صوتها الخرافي حين ساعدتها بالقذف من نقطة ال(ج).. خمس  
مرات.

كادَ الفجرُ يبرزُ وفي منفضةِ الرمادِ بقايا عشراتِ السجائرِ ورائحةِ العرقِ ممزوجةٍ بالعطرِ تضيوعُ في زوايا الغرفةِ وكنتُ كمن دخلَ حلماً في قلبِ حلمٍ.

ما أثارَ دهشتي أن شعوراً عميقاً بالارتواءِ ملأَ كياني وما كنتُ أشعرُ أنني بحاجةٍ إلى ممارسةِ الجنسِ بشكلهِ التقليدي بعدَ الذي جرى، لكنها، بخبرتها اهتمت بباقي التفاصيلِ.

من خلفِ النافذةِ الصغيرةِ بدأت أصابعُ الصبحِ بإحكامٍ قبضتها، أما الراقصةُ فكانت تعدّ فنجانين من القهوةِ.

أدركتُ أن ما وفرتهُ لي الأربعةُ آلاف درهمٍ أوشكَ على النفادِ وستبدأ بمعاملي لحين انصرافي كزبونٍ لم يعد لبقائه من داعٍ.

ارتديتُ ثيابي بهدوءٍ.

قبل أن أغلقَ البابَ خلفي سمعتها تقول:

.لن أسألكَ البقاءَ فأنا أريدُ حقاً أن أنامَ لكن قل لي:

.هل ندمت؟

كانَ الكلامُ قد أصبحَ بلا جدوى.

ابتسمتُ ثم عدتُ أدراجي إلى حياةٍ أسوارها العالية مشغولةٌ بإتقان من حجارةِ العملِ والوسواسِ والعزلةِ.

## معركة الشارع الضارية

عندما كنتُ مُراهقاً، وأكادُ لا أصدقُ نفسي حين أقولُ: قبل عشرين عاماً، فُتِنْتُ بشخصيةِ (ساحرِ نساءِ إشبيلية) أو كما يعرفهُ مُعظّمكم بـ "دون خوان دي ماركو"، (دون جوان)، "الفارسُ المَاجن".

كما تعلمون، حينَ يتناقلُ الناسُ المغامراتِ والأساطيرِ عن شخصيةِ ما، يزيدُ ذلكَ من ألقِها وسحرها وفتنتها، فتغدو مع مرورِ الحكاياتِ والسنين، أشدَّ بريقاً، وسطوة.

وكنْتُ كلّما سمعتُ بقصةٍ من قصصهِ مع النساءِ أو قرأتُ عنها، توهّجت هالتهُ في أعماقي أكثر، حتّى أصبحتُ على قناعةٍ بأني سأكون، خيرَ خلفٍ لخيرِ سلف، وسأغدو دون شك.. (ساحرِ نساءِ اللاذقية).

أنتم تعتقدون أنّ تلكَ القناعةِ جاءت من فراغٍ أو تخيّلات، حقكم.

اسمحو لي بإيجازٍ أيها الأصدقاء أن أبيّن خطأ اعتقادكم الساذج..

حينَ غدوتُ في الثانية عشر من العمر، أقمتُ علاقةً مع امرأةٍ تكبرني بثمانِ سنوات، لن أدخلَ في التفاصيلِ كي لا أحمّد عن قصّتي الرئيسية، ومن كانَ منكم مُهتمّاً بتلكَ الحكايةِ فليقرأ قصّتي (بلغني أيّها الملك السعيد) كي يفهمَ أكثر.

بعدَ أن أصبحتُ بفضلِ تلكَ الفتاةِ رجلاً قبلَ أن أدخلَ مرحلةَ التعليمِ الإعداديةِ بأشهرٍ قليلة، بدأت القناعةُ التي حدّثتكم عنها بالتشكّلِ ضبابياً رويداً رويداً إلى أن دخلتُ في علاقةٍ جنسيةٍ صارخةٍ مع إحدى الفتياتِ الشهياتِ .

استمرت تلك العلاقة طيلة مرحلة التعليم الثانوية وكانت تتخللها بعض المغامرات مع نساءٍ أخريات أصادفهنَّ على شاطئِ البدرسية حيث كنتُ أعملُ كلَّ صيفٍ.

وأيضاً لمن كانَ مُهتماً بالتفاصيل، ليعد إلى قراءة قصصي.. (نورا) (أيام في البدرسية)، (فتاة بريطانية على شاطئِ البدرسية)، (ذات العينين الخضراوين)، (عطرها الممزوج بالعرق).

لم تعد تلك القناعة ضبابية على الإطلاق، أصبحت واضحة وراسخة، وقوية.

لا أخفيكم سرّاً، في تلك المرحلة بين عامي 1997 و2000 كنتُ مؤمناً بقدرتي على اصطياذ أيّ فتاةٍ دونَ عناء، لا بل أنني رحّتُ أهتمُّ بالجانبِ الرياضي وأرفعُ الأثقالَ كي تكتملَ مع صورةِ العاشقِ الماجنِ صورةِ الفارسِ الشجاع.

لا تنسوا أن "الدون خوان" لم يكن داعراً فقط، بل فارساً شجاعاً، حين يواجهُ زوجَ إحدى عشيقاته أو والدها أو شقيقها، يجندلهُ بضربةٍ واحدة.

هنا كانت المعضلة.

كي تصبح فارساً أو مقاتلاً لا بدّ أن، تُقاتل.

خلال مغامراتي مع النساء، لم أدخل في شجارٍ واحدٍ ولا شبه واحدٍ تسببت به تلك المغامرات.

الحقُّ أقولُ لكم، إنّ علاقتي مع معظمِ عائلاتِ الفتيات اللواتي كنتُ أضاجعهنَّ كانت علاقة خالية من أغلبِ الشوائب.

لا بل إن بعضَ أشقائهن كنَّ أصدقاء لي.



وكانت والدة إحداهنّ مُصرّة على مخاطبتي دائماً بكلمة (ابني) على الرغم من معرفتها بالعلاقة الغرامية التي تجمع ابنتها معي إلى الحد الذي خشيتُ أن تصبح العلاقة حينها نوعاً من (زنا المحارم).

المهم، ذات صيفٍ من تلك الأيام، ولسببٍ نسيته، لم أذهب إلى البدرسية كي أعملَ في تأجير الشاليهاتِ واصطياد السمك.

بقيتُ في بسنادا، إلا أن أحد أصدقاء والدي اقترح أن أستثمر وقتي بالعملِ في إحدى المؤسسات المتواضعة التي تربطه صداقة مع مديرها.

هكذا ذهبتُ في اليوم التالي إلى المؤسسة المنشودة وبعد أن قابلتُ المدير وأخبرته أنني من طرف العم (أبو حسام) قال:

. يا مرحبا.

كلّ ما عليك فعله هو أن تقومَ بتجميع العلب الصغيرة التي تنتجها هذه الآلة في صندوقٍ ومن ثم نقلها إلى آخر المستودع برفقة زملائك.

بالفعل، رأيتُ ثلاث فتياتٍ وشابين يقومون بهذه المهمة.

حينَ عرّفهم المدير بي لاحظتُ على الفور أن إحداهنّ كانت جميلة في منتصفِ العشرينات، ولولا الذاكرة اللعينة أكادُ أقسمُ أنّها ابتسمت لي من أول مرّة التقت أعيننا، وطبعاً لا أتحدثُ عن الابتسامات البلهاء التي يتبادلها الناسُ العاديون.

تلك المغامرات أيها الأصدقاء جعلت القناعة بأنني الخليفة الشرعي للدون خوان دي ماركو غير قابلة للنقاش، ومما لا شكّ فيه، أنا ساحر نساء اللاذقية كما كان هو ساحر نساء إشبيلية، بيدَ أنني، لم أكن سعيداً.

أين الفروسية؟

أين شخصية البطلِ القادرِ على جندلةِ الخصوم؟  
أين المحاربُ الشجاعُ الذي لا يخشى زوجَ عشيقتهِ ولا شقيقها ولا  
عائلتها بأسرها؟

بدأتُ العملَ وتنفيذَ المهمةِ الموكلةِ إليّ كما ينبغي.  
وكنتُ كلّما رأيتُ الفتاةَ الجميلةَ، ابتسمت بطريقتي جعلتني متأكداً أنني  
سأنام معها اليوم أو غداً.

خلالَ استراحةِ الغداءِ اقتربت منها وقلت:

.لم أتعرف بك بعد فهل يرضيك ذلك؟

نظرت الفتاة بعينين شهوانيتين كعيني ذئبٍ ثم قالت:

.سندس.. اسمي سندس.

.أنعم وأكرم

أنا الدون حازم دي بسنادا.. عفواً.. أنا حازم.

هكذا رحّت أخترعُ أحاديثَ سخيصةٍ كي أستمرّ في الكلامِ معها فعرفتُ  
أنّها متزوجةٌ ثمّ اكتفت الفتاة خلال حديثي بالنظرِ المُغري فاستطاعت  
بعينها فقط أن تجعلَ الأمورَ متأهبةً ومتوترةً وكما تعرفون، حين يصلُ  
الرجلُ إلى هذه المرحلة، تنتهي كلّ الطرقِ إلى المنطقِ، لأن المنطقَ  
يقول:

.امرأةٌ مستعدة لمضاجعةٍ شخصٍ قابلته قبل ساعات، لماذا تعملُ في  
وظيفةٍ كهذه راتبها لا يتجاوز الألفي ليرة فقط لا غير؟

لو أنني تذاكيت وفكرتُ بهذه البساطة، لما اقترحتُ عليها عندَ نهايةِ  
الدوامِ أن أرافقها في طريقِ العودةِ إلى منزلها بعدَ أن علمتُ أن بيتها لا

يبعُد عن مقرّ العمل أكثر من كيلومتر واحد، لكن أسطورة الدون خوان كانت قد اكتملت في ذهني تماماً وصرّت مقتنعا أنّها ستنامُ معي لأنّها أعجبت بي ولا تريدُ مقابلاً.

لا بل إنني قلت لنفسي:

.على الأرجح لن يعودَ زوجها إلى المنزلِ قبلَ أن يسدلَ المساءُ سدوله، وحتماً ستدعوني إلى الدخولِ كي أنهشَ أعضائها بعنف، تلكَ النظرات كانت توجي بأنها تفضلُ هذه الطريقة.

وافقت الفتاةُ على اقتراحِ مُرافقتها في طريقِ العودة، لا بل إنها ابتسمت كما ابتسمت حينَ قابلتها أولَ مرة.

كانَ الطريقُ إلى الشارعِ العامِ مُحاطاً بأشجارِ السرو والكينا.

أشعلتُ سيجارةَ ورحتُ أكملُ تفاصيلِ المضاجعة المرتقبة في مخيلتي وحين اتجهنا يميناً ومضينا فوق الرصيفِ العريض المتاخم لسور المصنع والشارع العام، وقبلَ أن نقطعَ مسافةَ المئة متر، حثّت الفتاةُ حُطاها وأسرعت كمن رأت شبحاً دون أن تقولَ حرفاً.

لا أنكرُ أن دهشتي كانت كبيرة، الفرقُ شاسعٌ بينَ السيناريو الذي رسمتهُ في مخيلتي وما حدثَ للتو، لكن ما الذي بالإمكان فعله!

وقفتُ أنتظرُ "السيرفيس" كي أعودَ أدراجي إلى المنزل، وقبلَ أن أرفعَ يدي مشيراً لواحدٍ يقترب، أمسكت بي من الخلف، يدٌ قوية.

على الفور، وبانفعالٍ يشوبه الجزع، استدرتُ بسرعةٍ مُبعداً اليدَ الغليظة عني. أمامي، كانَ يقفُ مارداً بكرشٍ عظيمٍ ولحيةٍ كثيفة فنجر عينيه وقال:

.كيف تجرؤ على التحرشِ بزوجتي، يا حيوان؟

دون أن أعي شيئاً أجبتُ باضطراب:

.أية زوجةٍ أيها الأبله؟

كانت سندس قد اجتازت الشارعَ إلى الطرفِ المقابل، وبينما كانت تلجُ زقافاً جانبياً، أشارَ إليها الغضنفرُ وهو يعاودُ الصياح:  
.تلك.

أصبحَ كلُّ شيءٍ واضحاً.

أولاً: سندس زوجة هذا العملاق.

ثانياً: المسافة التي تفصل بيتها عن المصنع، ليست كيلومتراً ولا نصف كيلومتر.

ثالثاً: سندس عاهرة لكن من نوع مختلف، نوع يريد الأذية فقط .  
أخيراً وليس آخراً.. حانت لحظة الحقيقة.

لطالما حلمتُ بتلك اللحظة التي أتعمدُ فيها فارساً لا يُشقُّ له غبار،  
وها هو زوجٌ إحدى العشيقات يريد قتلي، لكنه يجهلُ مدى استعدادي  
لمثل هذا يوم.

اليوم الذي سيتحدثُ فيه الناسُ عن شجاعتي وجبروتي، عن بأسِي  
وقسوتي.

لكمته اللعينة التي أوشتك على اقتلاع فكي من مكانه، قطعت سلسلة  
أفكاري.

بصراحة، لم أكن مستعداً لها فلم نتجاوز بعد . كما حسبتُ . مرحلة  
الصراخ.

كانت بالفعل لكمة قويّة قررتُ على الفور أن أردّها له.

استفقتُ من صدمةِ المفاجأة واستجمعتُ رباطة جأشي، وبعد أن اتخذتُ القرارَ بالردِّ في الزمان والمكان المناسبين دون أن أرسلَ أية رسائل متطابقة إلى مجلس الأمن، سددتُ بقبضتي التي أصبحت حديدية لكثرة التمرن والتدريب ووجهتُ لكمة صوب وجهِ الزوج.

قبل أن تصلَ القبضة إلى خده المزدهم بالشحوم، تجنّبها وعطف رأسه موجهاً لي لكمة أقوى من سابقتها استقرت في منتصفِ بطني.

دفعتني اللكمة إلى الانحناء ألباً وليس احتراماً، فباغتتني من الخلف، لطمة عنيفة فوق ظهري كادت تقسمه إلى نصفين.

أدركتُ أن شخصاً آخر يشارك المارد الأهووج في حفلي الدموية.

قلت لنفسي:

يا له من مجدٍ عظيم ..

ها قد أتت الفرصة كي أثبت فروسيتي وأجندل بدل العتي .. عتيين.

وحين التفّت بلمحةٍ كي أجمع المُعطيات الجديدة المتعلقة بالصراع الدائر، أبصرت عصابة من الشبان وفي أيديهم هراوات حديدية يقفزون كالسعادين إلى ساحة الوغى كي يشاركوا في تصفيتي.

كنت أمام خيارين، أحلاهما مر .

الثبات أمام خمسة عمالقة والموت في سبيلِ عاهرة لم ألمس منها شعرة، أو هروب الشجعان .

في ثوان قليلة، عقدتُ العزم على تنفيذ الخطة (ب) لكن، كبريائي منعي من الإقدام عليها، قبل أن أترك بصمتي .

مستغلاً الاضطراب الذي نجمَ عن هجومٍ حاملي الهراوات واحتشاد الجماهير.

وقبل أن أنطلق في الاتجاه المعاكس، بكل عزمٍ وحقد، وجهت لكمة إلى وجه الزوج البهيم، روت غليلي منه، إلى يومنا هذا. وأحسبُ أنها لم تفاجئه وحسب، بل فاجأتني أنا نفسي.

## بيسان

كي أحظى باهتمامها، ومن ثمّ قبولها الجلوس إلى جوارى في مقهى كلية الآداب في دمشق لأنّال ودّها، ورضاها، وفي مرحلة لاحقة، استلطفها ومحبتها، وما يقدّمه ثديها البيضاءوين العامرين، من كنوز ثمينة، كان لا بدّ من تمهيد، وصفه بالبسيط، أو المتواضع إهانة لا أقبلها. إذا ما أخذنا بعين الاعتبار، كم هي مهمّة لا تقلّ استحالةً عن مهمات الزميل "توم كروز" المستحيلة، أن يتجرأ شابّ عادي جداً مثلي، على مخاطبة فتاة صارخة الأنوثة والجمال والإغراء، مثلها .

كانّ عامي الثالث كطالب في قسم الآثار والمتاحف قد انتصف، وقد كانّ يوماً ربيعياً يفوح في أجوائه عبير الورود المنبعث من شجيرات حديقة الآداب الجميلة، حين رأيتها تتهادى برفقة فتاتين وثلاثة شبان قادمين باتجاهي، وكنّ حينها جالساً في الحديقة، أملاً وقتي في انتظار المحاضرة القادمة، بقراءة ما تبقى من كتاب "التبغ" للأستاذ "ديميتريدموف"، وأعبّ ما تيسر لي خلال ذلك، من تبغ وقهوة.

في البداية، كانت مجرد نظرة، حسبت أنّها لن تشغلني عن شيء، أو لن تمثل شيئاً، أو لن تورطني في شيء، لكنّ النظرة إلى مثل تلك "المازراتي" تختلف عن النظرة إلى ما سواها، وركوبها بالتأكيد، لا يشبه بتاتاً ركوب سيرفيس "مزة جبل كراجات".

وكما حدث مع أبي الطيب المتنبي حين قال " عَرَضاً نظرتُ وِخِلْتُ  
أبي أسلم " لكنه، كما نستنتج، لم يسلم، لا بل إنه سبق "ذئب وول  
ستريت" و "السير جيمي لانستر" بأكثر من ألف سنة في التعبير  
عن رغبته بمضاجعة تلك المرأة حتى لو كانت أخته نظراً للجمال  
المذهل، حين قال :

" يرنو إليك مع العفافِ وعنده، أنّ المجوسَ تصيبُ فيما تحكم "

حدثت معي فما سلمتُ من آثارِ الهيجانِ والشرِ المتطايرِ عقب  
كلّ خطوةٍ يميلُ معها خصرُ " بيسان " المتربُّ على حوضٍ قاذفٍ  
للهب، وللصواريخِ البالستية، والاستراتيجية.

شعرٌ أسودٌ متدرجٌ بغنجٍ إلى الكتفين، حاجبان محنيان إغواءً لا  
تعباً كسيفين عربيين أصيلين، عينان نجلاوان لهما ضحكة  
مسموعةٌ إلى ما وراء الحلقاتِ المحيطة بكوكبِ زحل، وشفتان لا  
هما بالرفيعتين ولا الغليظتين، فوقهما بريقٌ أحمرٌ لامع، مجردُ  
التفكيرِ بالخميرِ المكنوزِ خلف سورهما الناصع، يحيلُ المرءَ  
مخموراً.

هل تعلم مقدار التهور والجرأة والجنون والمخاطرة الذي يتطلبه  
الاقتراب من فتاة محاطة بثلاثة شبانٍ وصديقتين ومن ثمّ  
الوقوف أمامهم كما وقف "جون سنو" وحده أمام جحافل  
"النغل"، ومن ثمّ التوجه بالحديث إلى أشهى وأجمل امرأة  
صادفتها في حياتك وأنت ترتدي معطفاً زيتياً استوليت عليه من  
أخيك، وفي جيبك "1500" ليرة هي كل ما تملكه من نقودٍ حتى



آخر الشهر، ومن ثم ارتجال عبارة مبتذلة بصوتٍ نصفه مسموع،  
مفادها:

. لو سمحتي، ممكن دقيقة من وقتك؟

على الأرجح، لا تعلم.

أمطرتني نظرات الاستغراب والاستهجان من القطيع المرافق  
للبوة الفاتنة، عشرة آلاف عام انقضت وأنا أنتظر الحكم بالإعدام  
أو، بالنجاة. مواكبُ الطلاب المتجهة إلى أقسامها ومدرجاتها،  
العصافير في السماء، السيارات في الشوارع المتاخمة، توقفت عن  
الحركة.

كانت "بيسان" تتأملني من فوق إلى تحت، ومن تحت إلى فوق .  
شابٌ متوسط الطول يرتدي معطفاً عسكرياً وبنطالاً أسود فوق  
حذاء أسود، بيده كتاب "التبغ"، وريثما تصدر قرارها الوجيهي  
يرفع أصابعه ثم يعبّ من السيجارة نفساً عميقاً كما لو كان يتهياً  
إلى الغوص في أعماق المحيط الغامضة، شابٌ يغامر بكبريائه أمام  
حرابٍ سخرية الملكة وحراسها.

لم أكن أعرف حينها بماذا تفكر، لكنها أخبرتني بعد شهرٍ من تعرفي  
إليها، وقبولها الجلوس إلى جوارِي في مقهى كلية الآدابِ أثناء ذلك  
اليوم الربيعي، لأنالَ ودّها، ورضاها، واستلطافها ومحبتها، وما  
يقدمه ثديها البيضاءوين العامرين، من كنوزٍ ثمينة،،

أخبرتني ونحنُ على سرير في غرفةٍ متواضعة في "الشيخ سعد" كان  
يستأجرها صديقي "محمد" استعرتها منه ثلاث ساعات، مقابل

التقدم عنه لامتحان اللغة العربية، أنها وجدت ما قمتُ به في ذلك اليوم، جديراً بالاهتمام..

يومها، وبعد أن وافقت على منحي ربع ساعة من وقتها في مقهى الصحافة، سألتني بيسان عن الفرقِ بيني وبينَ غيري من الرجالِ كي تمنحني ثقتها الغالية والمناطق المتاخمة لأعز ما تملك.  
أشعلتُ سيجارةً وقلت:

-غيري سيُحدِّثك عن أمِّ غوري وآلامِ تولستوي وساذجةٍ  
تشيخوف.

سيفتحُ معكِ عشرين موضوعاً عن كوبا غيفارا وكاسترو وإن كان مُتابعاً للسينما سيدهشكِ بمعرفتهِ لأفلام هيتشكوك وفليني وودي آلن .

سيُمضي معكِ الساعاتِ الطوالِ في نقاشِ وجوديةٍ سارتر وعبثية  
كامو..

غيري من الرجال، سيستعرضُ أمامكِ تاريخَ البشرية من ملحمة  
جلجامش إلى قلقِ الأمسيات كي يسألكِ في النهاية:

-هل مِنْ المُمْكِن أن أنزعَ ملايسكِ الداخلية؟

ابتسمتِ بيسانِ بِسِّيءٍ من الحياءِ ثمَّ سألت:

-وأنت، ما الذي يجعلكِ مُختلفاً!

عندي شعورٌ قوي أنكِ مختلف.

سحبتُ آخرَ نفسٍ من سيجارتي ثمَّ سحقتها في منفضةِ الرمادِ  
وأجبت:

-أنا أيتها الجميلة، لن أهدرَ دقيقةً من وقتك في أيِّ حديثٍ  
هامشي .

سأسألكِ دونَ لفٍّ ودوران:

- هل مِنَ المُمْكِن أن أنزعَ ملايسكِ الداخليّة؟



## انتهى الجزء الأول

لم تَعُدْ لحيَةً وَحَظَّهَا الشَّيْبُ، بل أرضاً كساها الرمادُ حين ارتوت  
منها نارُ السنين.

أنا في المرأة شخصٌ بالكادِ أعرفه .

عينان مُجهدتانٍ من الحلقةِ في شاشةِ الكمبيوتر سبع ساعاتٍ  
كلَّ يومٍ.

أنفٌ أكادُ أقسمُ أنه كانَ أصغرَ قبل خمسة عشر عاماً.

ملاحح أعيها الإرهاق..

وكما يحدثُ في الروايات والأفلام، دونَ أن أنطقَ حرفاً، قالت  
صورتِي المنعكسة في الزجاجِ المصقول :

"مرحباً بكِ في الأربعين"، انتهى الجزء الأول.

.وكما تعلمُ يا صاحبي ..

أردفت صورتِي بعدَ أن أشعلت سيجارةً شعرتُ بطعمِ تبغها في  
عقلي

" كي يكونُ الجزءُ الثاني أفضل، الأمرُ يحتاجُ إلى مُعجزة.

كانَ اللهُ معك.



## الفهرس

- 7 -1 أجمل امرأة عبرت حياتنا
- 11 -2 مسجلة الكاسيت الجديدة
- 21 -3 تبادل أدوار
- 27 -4 لقمة مغمسة بالدماء
- 37 -5 فستان رشا الأحمر
- 43 -6 شهر إلا خمسة أيام في سوريا
- 51 -7 يوم شتائي داكن
- 55 -8 لوحة فارغة لامرأة عارية
- 59 -9 يا له من عالم رائع
- 65 -10 في أماكن متفرقة من البلاد
- 67 -11 تحت ثلوج سانت بطرسبورغ
- 85 -12 صفحة بيضاء
- 87 -13 أسيل هدي في الخالد في مرمى الزمن
- 97 -14 قيادة الرانج روفر
- 101 -15 تداعيات مريبة في يوم إجازة فاجر
- 109 -16 لهجة ريفية غامضة
- 113 -17 وهن نفسية الأمة
- 117 -18 فرق توقيت
- 121 -19 لا شيء عندي كي أضيفه
- 125 -20 غرفة صغيرة على السطح
- 131 -21 القصة المجونية
- 143 -22 معركة الشارع الضارية
- 151 -23 بيسان
- 157 -24 انتهى الجزء الأول

